الفتوحات الرحمانية

في شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية

للإمام ابن العز الحنفي

شرح

الشيخ الدكتور/ وليد بن إدريس المنيسي

Islamic University of Minnesota
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم يرغب في طباعتها
للتوزيع المجاني

الناشر

دار الجامعة الإسلامية بولاية مينيسوتا للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ مـ

الجامعة الاسلامية بمنيسوتا
ISLAMIC UNIVERSITY OF MINNESOTA

إسنادي إلى المنظومة الميئية

قال وليد بن إدريس المنيسي: أروي المنظومة الميئية في السيرة النبوية عن عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني، عن محمد الطيب النيفر، عن محمد الكتبي الحنفي، عن محمد بن محمد الأمير الكبير، عن أحمد الجوهرين، عن عبد الله بن سالم البصري، عن محمد بن علي المكتبي الدمشقي، عن أحمد الوفائي المفلحي الصالحي، عن محمد بن علي بن طولون، أخبرنا أحمد بن أبي الصدق العمري من لفظه، أخبرتنا أمة اللطيف بنت محمد بن محمد بن المحب بمنزلها سماعا عليها، قالت: أخبرني والدي من لفظه، أخبرنا قاضي المسلمين علي بن علي بن أبي العز، المؤلف سماعا عليه من لفظه، رحمهم الله أجمعين وألحقنا بهم في الصالحين .

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن المنظومة الميئية في ذِكْر حال أشرف البرية ﷺ هي من أحسن المنظومات المختصرة في السيرة النبوية المشرفة، حيث أوجز ناظمها الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله أحداث السيرة العطرة في مائة بيت فقط، بلفظ رشيق ونظم عذب سلس، مما جعلها سهلة الحفظ، وقد رأيت أن أضع عليها شرحا موجزا يوضح ما يحتاج منها إلى التوضيح، ويعين قارئها على فهم مراد ناظمها، وبالله تعالى التوفيق

وكتب : وليد بن إدريس المنيسي

متن الأرجوزة الميئية
في ذكر حال أشرف البرية

١- اَلْحَمْدُ للهِ الْقَدِيرِ الْبَارِي ... ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ
٢- وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ ... مَنْظُومَةً مُوجَزَةَ الْفُصُولِ
٣- مَوْلِدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ ... رَبِيعٍ الأَوَّلِ عَامَ الْفِيلِ
٤- لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ ... فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ طُلُوعَ فَجْرِهِ
٥- وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا ... وَقَبْلَهُ حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا
٦- وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا ... جَاءَتْ بِهِ مُرضِعُهُ سَلِيمَا
٧- حَلِيمَةٌ لِأُمِّهِ وَعَادَتْ ... بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ
٨- فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشِقَاقُ بَطْنِهْ ... وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهْ
٩- وَبَعْدَ سِتٍّ مَعَ شَهْرٍ جَاءِ ... وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الأَبْوَاءِ
١٠- وَجَدُّه لِلأَبِ عَبْدُ الْمُطَّلِبْ ... بَعْدَ ثَمَانٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ كَذِبْ
١١- ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ الْعَمُّ كَفَلْ ... خِدْمَتَهُ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلْ
١٢- وَذَاكَ بَعْدَ عَامِهِ الثَّانِي عَشَرْ ... وَكَانَ مِنْ أَمْرِ (بَحِيرَا) مَا اشْتَهَرْ
١٣- وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ... فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا
١٤- لِأُمِّنَا خَدِيجَةٍ مُتَّجِرَا ... وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا

١٥- فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا   وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا

١٦- وَوِلْدُهُ مِنْهَا خَلاَ إِبْرَاهِيمْ   فَالْأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمْ

١٧- وَزَيْنَبٌ رُقَيَّةٌ وَفَاطِمَةْ   وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَةْ

١٨- وَالطَّاهِرُ الطَّيِّبُ عَبْدُ اللهِ   وَقِيلَ كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي

١٩- وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامْ   وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ بِنِصْفِ عَامْ

٢٠- وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلاَثِينَ حَضَرْ   بُنْيَانَ بَيْتِ اللهِ لَمَّا أَنْ دَثَرْ

٢١- وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَمْ   فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثَمّْ

٢٢- وَبَعْدَ عَامِ أَرْبَعِينَ أُرْسِلاَ   فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ يَقِينًا فَانْقُلاَ

٢٣- فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ   وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ

٢٤- ثُمَّ الْوُضُوءَ وَالصَّلاَةَ عَلَّمَهْ   جِبْرِيلُ وَهْيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَةْ

٢٥- ثُمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةْ   فَرَمَتِ الْجِنَّ نُجُومٌ هَائِلَةْ

٢٦- ثُمَّ دَعَا فِي أَرْبَعِ الْأَعْوَامِ   بِالْأَمْرِ جَهْرَةً إِلَى الْإِسْلاَمِ

٢٧- وَأَرْبَعٌ مِنَ النِّسَا وَاثْنَا عَشَرْ   مِنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ

٢٨- إِلَى بِلاَدِ الْحُبْشِ فِي خَامِسِ عَامْ   وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لاَ مَلاَمْ

٢٩- ثَلاَثَةٌ هُمْ وَثَمَانُونَ رَجُلْ   وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ حَتَّى كَمُلْ

٣٠- وَهُنَّ عَشْرٌ وَثَمَانٍ ثُمَّ قَدْ   أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمْزَةُ الْأَسَدْ

٣١- وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رِسَالَتِهْ   مَاتَ أَبُو طَالِبَ ذُو كَفَالَتِهْ

٣٢- وَبَعْدَه خَدِيجَةٌ تُوُفِّيَتْ ... مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلاَثَةٍ مَضَتْ

٣٣- وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ أَسْلَمَا ... جِنُّ نَصِيبِينَ وعَادُوا فَاعْلَمَا

٣٤- ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهْ ... فِي رَمَضَانَ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهْ

٣٥- عَقْدُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ، ... وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِ

٣٦- أُسْرِيْ بِهِ وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ ... خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ

٣٧- وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَا ... مِنْ أَهْلِ طَيْبَةَ كَمَا قَدْ ذُكِرَا

٣٨- وَبَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى ... سَبْعُونَ فِي الْمَوْسِمِ هَذَا ثَبَتَا

٣٩- مِنْ طَيْبَةٍ فَبَايَعُوا ثُمَّ هَجَرْ ... مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ

٤٠- فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا ... إِذْ كَمَّلَ الثَّلاَثَ وَالْخَمْسِينَا

٤١- فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ وَدَامَ فِيهَا ... عَشْرَ سِنِينَ كَمَلَتْ نَحْكِيهَا

٤٢- أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلاَةَ الْحَضَرِ ... مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ فَاسْمَعْ خَبَرِي

٤٣- ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءِ ... وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ

٤٤- ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ ... ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَةْ

٤٥- أَقَلُّ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا ... إِلَى بِلاَدِ الْحُبْشِ حِينَ هَاجَرُوا

٤٦- وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ ... بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

٤٧- ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ ... وَشَرَعَ الْأَذَانَ فَاقْتَدِ بِهِ

٤٨- وَغَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرْ ... هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرْ

٤٩- إِلَى بُـوَاطَ ثُـمَّ بَـدْرٍ وَوَجَبْ تَحَـوُّلُ الْقِبْلَـةِ فِي نِصْـفِ رَجَـبْ
٥٠- مِنْ بَعْدِ ذَا الْعُشَـيْرُ يَا إِخْوَانِي وَفَـرْضُ شَـهْرِ الصَّوْمِ فِي شَـعْبَانِ
٥١- وَالْغَـزْوَةُ الْكُـبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ فِي الصَّوْمِ فِي سَـابِعِ عَشْرِ الشَّـهْرِ
٥٢- وَوَجَبَـتْ فِيـهِ زَكَاةُ الْفِطْـرِ مِـنْ بَعْـدِ بَـدْرٍ بِلَيَـالٍ عَـشْرِ
٥٣- وَفِي زَكَاةِ الْمَـالِ خُلْـفٌ فَادْرِ وَمَاتَـتِ ابْنَـةُ النَّـبِيِّ الْـبَرِّ
٥٤- رُقَيَّـةٌ قَبْـلَ رُجُـوعِ السَّـفْرِ زَوْجَـةُ عُثْمَـانَ وعُـرْسُ الطُّهْـرِ
٥٥- فَاطِمَـةٍ عَلَى عَلِيِّ الْقَـدْرِ وَأَسْـلَمَ الْعَبَّـاسُ بَعْـدَ الأَسْرِ
٥٦- وَقَيْنُقَـاعُ غَزْوُهُـمْ فِي الْإِثْـرِ بَعْـدَ ضَحَـاءِ يَـوْمِ عِيـدِ النَّحْـرِ
٥٧- وَغَـزْوَةُ السَّـوِيقِ ثُـمَّ قَرْقَرَةْ وَالْغَـزْوُ فِي الثَّالِثَـةِ الْمُشْـتَهِرَةْ
٥٨- فِي غَطَفَـانَ وَبَـنِي سُـلَيْمِ وَأُمُّ كُلْثُـومَ ابْنَـةُ الْكَرِيـمِ
٥٩- زَوَّجَ عُثْمَـانَ بِهَـا وَحَصَّـهْ ثُـمَّ تَـزَوَّجَ النَّـبِيُّ حَفْصَـةْ
٦٠- وَزَيْنَـبًـا ثُـمَّ غَـزَا إِلَى أُحُـدْ فِي شَـهْرِ شَـوَّالٍ وَحَمْـراءِ الْأَسَـدْ
٦١- فَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعَنْ هَـذَا وَفِيهَا وُلِدَ السِّـبْطُ الْحَسَـنْ
٦٢- وَكَانَ فِي الرَّابِعَـةِ الْغَـزْوُ إِلَى بَـنِي النَّضِـيرِ فِي رَبِيـعٍ أَوَّلَا
٦٣- وبَعْدُ مَـوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةْ وَبَعْـدَهُ نِكَـاحُ أُمِّ سَـلَمَةْ
٦٤- وَبِنْتِ جَحْشٍ ثُمَّ بَدْرِ الْمَوْعِدِ وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْـمَعْ وَاعْدُدِ
٦٥- ثُـمَّ بَـنِي قُرَيْظَـةٍ وَفِيهِمَـا خُلْـفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَـاعِ عُلِمَـا

٦٦- كَيْفَ صَلاَةُ الْخَوْفِ وَالْقَصْرُ نُمِي ... وَآيَـةُ الْحِجَـابِ وَالتَّيَمُّـمِ

٦٧- قِيـلَ: وَرَجْمُـهُ الْيَهُودِيَّيْنِ ... وَمَـوْلِدُ السِّـبْطِ الرِّضَا الْحُسَـيْنِ

٦٨- اَلْإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ... وَكَانَ فِي الْخَامِسَـةِ اسْـمَعْ وَثِـقِ

٦٩- وَدُومَـةُ الْجَنْدَلِ قِيلَ وَحَصَلْ ... عَقْدُ ابْنَـةِ الْحَارِثِ بَعْـدُ وَاتَّصَلْ

٧٠- وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ فِي ذِي الْخَامِسَةْ ... ثُـمَّ بَنُـو لِحْيَـانَ بَـدْءُ السَّادِسَـةْ

٧١- وَبَعْـدَه اسْتِسْـقَاؤُهُ وَذُو قَرَدْ ... وَصُـدَّ عَـنْ عُمْرَتِـهِ لَمَّـا قَصَـدْ

٧٢- وَبَيْعَـةُ الرِّضْـوَانِ أُولَى وَبَنَى ... فِيهَـا بِرَيْحَانَـةَ هَـذَا بَيِّنَـا

٧٣- وَفُرِضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهْ ... وَكَانَ فَتْـحُ خَيْـبَرٍ فِي السَّـابِعَةْ

٧٤- وَحَظْـرُ لَحْمِ الْحُمُـرِ الْأَهْلِيَّةْ ... فِيهَـا وَمُتْعَـةِ النِّسَـا الرَّوِيَّـةْ

٧٥- ثُـمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَـةَ عَقَـدْ ... وَمَهْرَهَـا عَنْـهُ النَّجَـاشِيُّ نَقَـدْ

٧٦- وَسُـمَّ فِي شَـاةٍ بِهَـا هَدِيَّـةْ ... ثُـمَّ اصْطَـفَى صَفِيَّـةً صَفِيَّـةْ

٧٧- ثُمَّ أَتَـتْ وَمَنْ بَـقِي مُهَاجِرَا ... وَعَقْـدُ مَيْمُونَـةَ كَانَ الآخِـرَا

٧٨- وَقَبْـلُ إِسْـلاَمُ أَبِي هُرَيْـرَةْ ... وَبَعْـدُ عُمْـرَةُ الْقَضَـا الشَّـهِيرَةْ

٧٩- وَالرُّسْـلَ فِي مُحَـرَّمِ الْمُحَـرَّمِ ... أَرْسَـلَهُمْ إِلَى الْمُلُـوكِ فَاعْلَـمِ

٨٠- وَأُهْدِيَـتْ مَارِيَـةُ الْقِبْطِيَّـةْ ... فِيـهِ وَفِي الثَّامِنَـةِ السَّرِيَّـةْ

٨١- لِمُؤْتَـةٍ سَـارَتْ وَفِي الصِّيَـامِ ... قَـدْ كَانَ فَتْـحُ الْبَـلَدِ الْحَـرَامِ

٨٢- وَبَعْدَهُ قَـدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي ... يَـوْمِ حُنَـيْنٍ ثُـمَّ يَـوْمِ الطَّائِـفِ

٨٣- وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتِمَارُهْ مِـنَ الْجِعِرَّانَـةِ وَاسْـتِقْرَارُهْ
٨٤- وَبِنْتُـهُ زَيْنَـبُ مَاتَـتْ ثُمَّـا مَـوْلِدُ إِبْرَاهِيـمَ فِيهَـا حَتْمَـا
٨٥- وَوَهَبَـتْ نَوْبَتَهَـا لِعَائِشَـةْ سَـوْدَةُ مَـا دَامَـتْ زَمَانًا عَائِشَـةْ
٨٦- وَعُمِـلَ الْمِنْـبَرُ غَـيْرَ مُخْتَفِ وَحَـجَّ عَتَّـابٌ بِأَهْـلِ الْمَوْقِـفِ
٨٧- ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِـعَةْ وَهَـدَّ مَسْـجِدَ الـضِّرَارِ رَافِعَـهْ
٨٨- وَحَجَّ بِالنَّـاسِ أَبُو بَكْرٍ وَثَمْ تَـلَا بَـرَاءَةً عَلِيٌّ وَحَتَـمْ
٨٩- أَنْ لَا يَحُـجَّ مُـشْرِكٌ بَعْدُ وَلَا يَطُـوفُ عَارٍ ذَا بِأَمْـرٍ فُعِـلَا
٩٠- وَجَـاءَتِ الْوُفُـودُ فِيهَـا تَتْرَى هَـذَا وَمِـنْ نِسَـاهُ آلَى شَـهْرَا
٩١- ثُـمَّ النَّجَـاشِيَّ نَـعَى وَصَـلى عَلَيْـهِ مِـنْ طَيْبَـةَ نَـالَ الْفَضْـلَا
٩٢- وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الْأَخِيرْ وَالْبَجَـلِي أَسْـلَمَ وَاسْـمُهُ جَرِيـرْ
٩٣- وَحَـجَّ حِجَّـةَ الْـوَدَاعِ قَارِنَا وَوَقَـفَ الْجُمْعَـةَ فِيهَـا آمِنَـا
٩٤- وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَكُمُ (اَلْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُـمْ دِينَكُمُ)
٩٥- وَمَـوْتُ رَيْحَانَـةَ بَعْـدَ عَوْدِهْ وَالتِّسْـعُ عِشْـنَ مُـدَّةً مِـنْ بَعْدِهْ
٩٦- وَيَـوْمَ الِاثْنَـيْنِ قَـضَى يَقِينَا إِذْ أَكْمَـلَ الثَّـلَاثَ وَالسِّـتِّينَا
٩٧- وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي مَوْضِـعِ الْوَفَـاةِ عَـنْ تَحْقِيـقِ
٩٨- وَمُدَّةُ التَّمْرِيضِ خَمْسَـا شَهْرِ وَقِيـلَ بَـلْ ثُلْـثٌ وَخُمْـسٌ فَـادْرِ
٩٩- وَتَمَّـتِ الْأُرْجُـوزَةُ الْمِيئِيَّـةْ فِي ذِكْـرِ حَـالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّـةْ
١٠٠- صَـلَّى عَلَيْـهِ اللهُ رَبِّي وَعلى صِحَابِـهِ وَآلِهِ وَمَـنْ تَـلَا

الشرح

الأرجوزة الميئيّة في ذِكْر حال أشرف البرية ﷺ هي منظومة في السيرة النبوية، سمّاها ناظمها الأرجوزة الميئيّة: منسوبة إلى مائة؛ لأنها من مائة بيت.

ومائة: يمكن أن يُنسَب إليها (مِئِيّة)؛ كما يُنسَب إلى (صِفَة، عِدَة) فيقال: (صِفِيّة).

ثم في بعض لغات العرب يجوز مَطْل الحركة أو إشباعها فيما قَلّت حروفه، وخَرّجوا عليها رواية هشام عن ابن عامر في قوله تعالى: (فاجعل أفئيدة من الناس تهوي إليهم) [إبراهيم:٣٧]، بِمَطْل الكسرة ياءً في **أَفْئِيدَةً**.

وكذلك هنا قال: (المِيئية)؛ فمَطَل كسرة الميم ياءً.

وهي أرجوزة بمعنى منظومة شعرية من بحر الرَّجَز؛ وهو بحر من بحور الشعر، وزنه: (مُسْتَفْعِلُن) ست مرات.

ناظم هذه الأرجوزة: هو الإمام صَدْر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عِزّ الدين أبي العز الدمشقي الصالحي الحنفي.

اللقب: صَدْر الدين.

والكنية: أبو الحسن.

والنسبة: الدمشقي؛ نسبة إلى دمشق، والصالحي؛ نسبةً إلى الصالحية؛ موضعٍ

بدمشق، والحَنَفي نسبة إلى المذهب الحنفي.

وُلِد رحمه الله سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة للهجرة.

وتوفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة للهجرة النبوية، عن عُمر إحدى وستين سنة -رحمه الله تعالى-.

أسرته: كانت أسرة عِلْم، وتولت أسرته القضاء، فأبوه وجَدّه وعدد من أسرته كانوا كلهم من القُضاة، ومن أئمة الحنفية في دمشق.

تولّى عدة مناصب؛ منها:

- تولّى التدريس بعدد من المدارس؛ المدرسة القيمازية، والمدرسة الركنية، والمدرسة البرّانية، والجوهرية، ... إلى آخره.

- وتولّى الخطابة.

- وتولّى قضاء الحنفية في دمشق سنة سبعمائة ستة وسبعين هجريًّا[١].

شيوخه:

أبرزهم: أبوه الشيخ علاء الدين علي بن أبي العز، كان فقيهًا حنفيًّا قاضيًّا رحمه الله، وتَفَقّه على أبيه الذي هو جد الناظم .

وكذلك من شيوخ الناظم أيضًا: الإمام عماد الدين بن كثير المفسر المعروف رحمه الله تعالى، وفي شَرْحه على الطحاوية: كثيرًا ما يقول: (قال شيخنا عماد

[١] الأعلام للزركلي (٤/ ٣١٣).

الدين بن كثير)[١].

وأما تلاميذه:

- فمنهم: ابن الدَّيري؛ أحد شيوخ الإمام السخاوي؛ حيث ذكر السخاوي في ترجمة شيخه ابن الدَّيْري أنه قد أجاز له ابن أبي العِزّ.

- وكذلك من تلاميذه: محمد بن المحِب؛ وهو الذي روى عنه الأرجوزة الميئية، فقال: أخبرنا قاضي المسلمين الصّدر[٢] علي بن علي بن أبي العز، سماعًا من لفظه بمسجد العفيف فخر الدين بالقرب من اليرمورية بسفح قاسيون -وهو جبل في دمشق أيضًا- لنفسه، فقال مُرتجزًا -وسَاقَ القصيدة-.

وهذا مما فيه إثبات نِسبتها إلى مؤلفها رحمه الله تعالى؛ لأن الإمام ابن الشِّحنة أيضًا له منظومة في السيرة، وقد خَلط بعض الناس بين منظومة ابن أبي العز، ومنظومة ابن الشِّحنة، لكن هذه المنظومة التي معنا هي منظومة ابن أبي العز رحمه الله، وسَنَدها السماعي الذي فيه التصريح بأنه أنشدها بنفسه، وفيها ذِكْر المكان الذي أنشد فيه قصيدته لنفسه بمسجد العفيف فخر الدين... إلى آخره.

وحتى أسلوب القصيدة مختلف عن أسلوب ابن الشِّحنة رحمه الله تعالى.

مؤلفات ابن أبي العز:

أشهرها: شَرْحه على العقيدة الطحاوية[٣].

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٣٤٢).

[٢] الصدر: اختصار: صَدْر الدين.

[٣] سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/ ٣٧٥)، وقد طبع طبعات كثيرة بالقاهرة ودمشق ومكة

وكذلك له كتاب اسمه التنبيه على مشكلات الهداية في الفقه الحنفي.

وله رسائل فقهية في عِدّة مسائل:

-رسالة في صحة الاقتداء بالمخالف.

- رسالة حُكم الأربع بعد الجمعة.

- رسالة الاتّباع.

وكذلك مما يُذْكَر في سيرته ﵀ محنته التي مَرّ بها؛ حيث اعترض على قصيدة الشاعر علي بن أيبك الصفدي في مَدْح النبي ﵊، فانتقد فيها أشياء؛ منها: عند قوله: (اشفع لي) فكَتَب عليها فقال: (لا تُطلَب الشفاعة منه ﷺ)، أي: الشفاعة لا تُطلَب إلا من الله تعالى، فيقال: نسأل الله تعالى أن يُشَفِّع فينا النبي ﵊.

وعند قوله: (المعصوم من الزّلل) قال: (إلا زَلّة العتاب).

وعند قوله: (تَوَسّلت بك) قال: (لا يُتَوَسَّل به)[١].

ولَمّا قال: (يا خير خَلْق الله)، كَتَب: (الراجح تفضيل الملائكة)[٢].

وبيروت، منها الطبعة التي نشرتها مؤسسة الرسالة ببيروت بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط.

[١] التوسّل بالنبي ﵊ أنواع؛ منها: المشروع، ومنها: الممنوع.
فالتوسل بمحبته ﵊، وباتباعه؛ هذا من المشروع.
وهناك التوسل بذات النبي ﵊، كأن يقال في الدعاء مثلًا: (اللهم إني أسألك بنبيّك أو بجاه نبيّك) هذه مسألة خلافية بين الفقهاء؛ منهم مَنْ مَنَع، ومنهم مَنْ أباح.
فالإمام أحمد أباح التوسل بالنبي ﵊ في الدعاء، أن يقول: (اللهم إني أسألك بنبيّك).
والإمام أبو حنيفة مَنَع من ذلك، وابن أبي العز حنفي.

[٢] هذه أيضًا مسألة خلافية؛ هل النبي ﷺ هو أفضل المخلوقات، أم الملائكة؟

فذهب علي بن أيبك إلى علماء مصر، وألّبهم على ابن أبي العز، وقال لهم: (لا يُجيز التوسل بالنبي ﷺ، ويُنكِر عِصمة النبي ﷺ)، فَغَضِب علماء مصر، ورفعوا الأمر إلى السلطان في مصر، فبعث إليه وأقام له مجلسًا، وذَكَر له هذه الأشياء، فقال: (ما أردتُ إلا تعظيم جناب النبي ﷺ، وامتثال أَمْره).

وقالوا: أنه رجع عن بعض الأشياء.

ففي النهاية عَزّروه، وحُبِس أربعة أشهر، وبعد الحبس جعلوه يُلازِم بيته، وجَرّدوه من جميع وظائفه، ومنعوه من التدريس، والخطابة، والقضاء.

وقبل وفاته بسنة طلب أحد كبار الأمراء أن تُرَدّ إليه وظائفه، ويُرَدّ إليه اعتباره، فردوا إليه وظائفه، وخَطَب بجامع الأفرم، ودَرّس بالجوهرية إلى أن توفي رحمه الله تعالى، ودُفِن في سَفح جبل قاسيون بدمشق رحمه الله تعالى.

موضوع الأرجوزة: هي أرجوزة في السيرة النبوية، وكل عِلْم من العلوم له عشرة مبادئ، فنذكر مبادئ عِلْم السيرة:

الأول: حدّ علم السيرة: وهو التعريف:

تعريف السيرة لغةً: هي طريقة السَّيْر؛ أي: الْمَشي.

والسيرة الحالة؛ قال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾[طه:٢١] أي: حالتها

وقد تكلّم فيها عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه الصحابي الجليل، فقال: (ما خَلَق الله خَلْقًا أكرم عليه من محمد، قالوا: ولا جبريل؟ قال: ولا جبريل ولا ميكائيل) رواه الحارث في مسنده، وقال الألباني في تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٣٨) صحيح موقوف.

وحصل خلاف في مجلس عمر بن عبد العزيز: هل الملائكة أفضل من الأنبياء؟ فتناقشوا فيها نقاشًا عِلْميًّا.

الأولى.

وسيرة الإنسان: أيامه ولياليه، وأحواله التي يكون عليها.

والسيرة اصطلاحًا: هي ما كان عليه النبي ﷺ من مولده إلى وفاته.

وعلم السيرة: هو العلم الذي تُعرَف فيه أخبار النبي ﷺ من مولده، ونَسَبه، ونشأته، وبعثته، ومعجزاته، ودعوته، وهجرته، وجهاده، ومغازيه إلى وفاته ﷺ.

الثاني: موضوع عِلْم السيرة: هو شخص النبي ﷺ، وأحواله.

الثالث: ثمرة عِلْم السيرة: له ثمرات كثيرة؛ منها:

١- أنه مُعِينٌ على الاقتداء بالنبي ﷺ؛ حيث قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:٢١]، فحتى يتخذ الإنسان النبي ﷺ أُسوةً حسنةً يلزمه أن يعرف أحواله ﷺ؛ ليتأسّى به.

٢- أنه مُعِين على فَهْم كتاب الله تعالى، خاصةً ما ذُكِر في كتاب الله تعالى من أخبار المغازي إجمالًا؛ كقصة غزوة أُحد في سورة آل عمران، وقصة غزوة بدر في سورة الأنفال، وقصة غزوة تبوك في سورة التوبة، وقصة غزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، وغير ذلك، فسيرة النبي ﷺ فيها شَرْح وتفصيلٌ لِمَا أُجمِلَ في كتاب الله تعالى من أحوال النبي ﷺ.

٣- أنه معين على تَعَلُّم مراحل الدعوة والتدرّج فيها، والاقتداء بالنبي ﷺ في طريقته في دعوة قومه، وفي صبره وقت الشدة، وفي حاله وقت الظفر والنصر، وحاله مع أصحابه، وحاله مع أعدائه ﷺ.

الرابع: فضل عِلْم السيرة: يدخل في عموم فَضل العلم النافع عمومًا، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[طه:١١٤].

وقول الله عز وجل: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة:١١].

ثم كذلك من فضائله: أنه يزداد به المؤمن حُبًّا لرسول الله ﷺ، ممكن أن نذكره في الفضل أو في الثمرات.

ومن فضائله: أنه داخلٌ في العلم بالقرآن الكريم، والعلم بسُنّة النبي ﷺ، فالسيرة فيها تفسيرٌ للقرآن الكريم فتدخل في «**خيركم مَنْ تَعَلَّمَ القُرآن وعَلّمه**»[١]، فمن ضمن علوم القرآن أن نفهم معاني آيات القرآن الكريم الواردة في أخبار النبي ﷺ.

وكذلك فيه عِلْم بسُنّة النبي ﷺ؛ لأن السيرة فيها تداخُل مع السُّنة المشرّفة في بعض الأبواب والمسائل.

الخامس: نسبة علم السيرة: عِلْم السيرة هو قِسْم من عِلْم التاريخ، فهو يُنسب إلى عِلْم التاريخ نِسبة جزء إلى كل، أو نسبة خاص إلى عام.

ويُنسب إلى السُّنة؛ فبينهما عموم وخصوص وجهي، أي: يجتمعان في صورة، وينفرد كل منهما في صورة.

فالصورة التي يجتمعان فيها: مرويات الغزوات ونحوها؛ فهذا جزء مشترك؛ فتجد في كُتب السُّنة كصحيحي البخاري ومسلم مرويات في الغزوات، والسيرة

---

[١] صحيح البخاري (٥٠٢٧).

فيها مرويات في الغزوات أيضًا، فيكون هذا الجزء مشتركًا بينهما.

ثم تنفرد السيرة بمرويات ما قبل بعثة النبي ﷺ؛ كقصة مولده ﷺ، ونحوها.

وتنفرد السُّنة عن السيرة بالمرويات التي لها علاقة بأحكام الطهارة، والصلاة والعبادات، والمعاملات، والعقائد، وغير ذلك.

كذلك عِلْم السيرة يتفرع عنه بعض العلوم المستقلة، فعلاقة السيرة بهذه العلوم علاقة كل بجزء، منها:

- عِلْم المغازي؛ ويشمل غزوات النبي ﷺ.

- دلائل النبوة؛ مثل: تبشير الأنبياء السابقين به، وتبشير الكتب السابقة بالنبي ﷺ، وما وَرَد من أخبار الكُهّان والجن في الإخبار عن النبي ﷺ، وما يتعلق بمعجزات النبي ﷺ.

- عِلْم الشمائل والخصائص: ويشمل صفات النبي ﷺ الخِلْقية والخُلُقية، وخصائصه ﷺ التي اختُصّ بها عن بقية الناس.

فهذه العلوم تُعتبَر جزءًا من السيرة، لكن في السيرة تُتناوَل بشكلٍ إجمالي، ثم فُصِّلَت بكُتبٍ مستقلة، انفردت بهذه العلوم.

السادس: واضع عِلْم السيرة: هو الصحابي الكريم سهل بن أبي حَثْمة الأنصاري رضي الله عنه، له قطعة في حياة رسول الله ﷺ رواها الواقدي صاحب كتاب المغازي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثمة الأنصاري، عن أبيه، عن جده.

وكذلك معه سعيد بن سعد بن عُبادة الخزرجي، كَتَبَ قطعةً في السيرة، رواها

الإمام أحمد في مسنده، والطبري في تاريخه بأسانيدهم.

فهذان أول مَنْ كَتبَا في سيرة النبي ﷺ، لكن ليس كتابًا كاملًا شاملًا لكل السيرة.

أما أول مَنْ كَتَبَ كتابًا كاملًا في السيرة: الإمام محمد بن إسحاق، والواقدي، وابن سعد، والطبري؛ وأسبقهم: هو محمد بن إسحاق.

فهؤلاء واضعو عِلْم السيرة.

السابع اسم هذا العلم: يقال له: السيرة، ويقال له: المغازي، ويقال له أيضًا: السِّيَر والمغازي.

الثامن: **الاستمداد**: يُستمد من القرآن الكريم، ومن السُّنة النبوية، ومن مرويات علماء السِّيَر.

التاسع: **حُكْم الشارع فيه**: فَرْض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

العاشر: **مسائل هذا العلم**: يمكن تقسيم مسائل السيرة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: **المبتدأ**: وهو ما كان قبل ولادة النبي ﷺ من تبشيرٍ به في الكتب السابقة، وأخبار الأنبياء السابقين، ونحو ذلك.

القسم الثاني: **المبعَث**: ويشمل المولد، والرضاعة، والنشأة قبل البعثة، وبعثته ﷺ، إلى نهاية المرحلة المكية.

القسم الثالث: **المغازي**: ويشمل المرحلة المدنية إلى أخبار وفاته عليه الصلاة والسلام.

«بسم الله الرحمن الرحيم»

البسملة في بعض النُّسخ، وليست ضمن الأبيات، ولكن افتتح بها في بعض النُّسخ.

والافتتاح بالبسملة فيه اقتداءً بكتاب الله –تعالى–، واقتداءً بكُتب رسول الله ﷺ، وبكُتُب الأنبياء السابقين: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠].

وكذلك افتتح بها تَبَرّكًا بذِكْر اسم الله تعالى، وعَمَلًا بما وَرَد من الأحاديث –وإن كان فيها ضَعْف– في فضل البدء بالبسملة.

ثم افتتح الأبيات بقوله:

١- اَلْحَمْـدُ للهِ الْقَدِيـرِ الْبَـارِي ثُـمَّ صَلاَتُـهُ عَلَى الْمُخْتَـارِ

في بعض النُّسخ فيها: «اَلْحَمْدُ للهِ الْقَدِيم الْبَارِي»، وفي بعضها: «الْقَدِيرِ الْبَارِي».

بدأ بحمد الله ﷻ.

والحمد: قيل: هو الثناء بالفضائل، والفواضل.

والفضائل: أي: المحاسن، وإن لم يتعدَّ أثرها إلى الحامد.

والفواضل: أي: النِّعم التي تَعَدّى أثرها إلى الحامد.

وقيل: الحمد هو الثناء بالجَميل على الجميل.

الثناء بالجَميل: أي: بالخير؛ وهو ذِكْر المحاسن.

على الجميل: أي: على الصفات الجميلة، سواءٌ هذه الصفات الجميلة كانت متعدّيّةً أو غير متعديّة.

فالمتعدية هي الفواضل، وغير المتعدية هي الفضائل.

فـ «الْحَمْدُ» قد يكون لله ﷻ وهو المقصود هنا.

وقد تحمد إنسانًا من الناس بما لا يتعدّى إليك نفعه، فتحمده على ذكائه، أو عِلْمه، أو حُسْن خِلْقته، أو حُسن كلامه.

وقد تحمده على شيء تعدّى إليك نفعه؛ بأن أعطاك عطيةً، أو أهدى إليك هديةً، أو علّمك علمًا، أو أحسن إليك في أَمْرٍ من الأمور.

فيمكن أن يكون الحمد على هذا وهذا.

وقيل أيضًا: الحمد هو ذِكْر محاسن المحمود مع حُبّه وتعظيمه.

فبعض أهل العلم يُقَيّد الحمد بأنه لا بد أن يكون ثناءً مقرونًا بحُبٍّ وتعظيمٍ.

وقوله: «الْحَمْدُ لِلَّه» أي: الحمد كله لله ﷻ؛ كل المحامد، وكل كمالٍ هو لله ﷻ.

وقوله: «الْقَدِيرِ»: أي ذو القدرة ﷻ الذي لا يُعجزه شيء.

والنسخة التي فيها «الْقَدِيم»: أي: الأول الذي ليس قبله شيء ﷻ.

ولم يَرِد في النصوص في أسماء الله ﷻ (القديم)، ولكن وَرَدَ في صفة سلطان الله

ﷻ في الحديث: «أَعُوذُ بِوَجْهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[١].

لكن يُستعمل إخبارًا عن الله ﷻ، ليس اسمًا له، ولكن إخبارًا عن الله ﷻ بمعنى اسمه -سبحانه- (الأول) الذي ليس قبله شيء ﷻ.

«الْبَارِي»: من أسماء الله ﷻ، وهو الذي يُبرِز المخلوق إلى الوجود بعد أن كان عَدَمًا.

والجمع بين أسماء الله -تعالى- (الخالق، والبارئ، والمصور):

فالخالق: الذي قَدّر إيجاد الأشياء قبل إيجادها.

والبارئ: الذي أبرزها إلى الوجود، بعد أن قَدّر إيجادها.

والمصور: الذي جعلها في صورة، بعد أن أبرزها إلى الوجود.

«ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ» بعد أن حَمِد الله -تعالى- صلى على النبي ﷺ.

والصلاة من الله ﷻ على نبيّه ﷺ:

قيل: هي الرحمة؛ هذا القول -وإن كان هو قول جمهور العلماء وأكثر العلماء- اعترِض عليه بأن الله ﷻ غايَرَ بين الصلاة والرحمة؛ فقال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ [البقرة:١٥٧].

والأصل في العطف بالواو أنها تقتضي المغايرة.

وإن كان فريق الجمهور يقولون: الواو قد تأتي لعَطْف المترادفين، فتكون من باب عَطْف المرادف.

---

[١] سنن أبي داود (١/ ١٢٧) رقم (٤٦٦).

لكن الأَوْلَى والأصل: أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه مُغايرة.

فلذلك قالوا: الصلاة شيء غير الرحمة.

فالتابعي الجليل أبو العالية -رحمه الله تعالى- قال: «**صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ**»[١] ففَسّر الصلاة بأنها ثناء الله على رسوله ﷺ عند الملائكة.

وهناك تفسيرٌ آخر لصلاة الله -تعالى- على نبيّه ﷺ أنها الحُنُوّ والعطف؛ فمعنى «صلى الله على نبيّه»؛ أي: حَنَا عليه وعَطَف عليه، وهو كلام الإمام السُّهيْلي[٢]، واختاره ابن القيم رحمه الله ورَجّحه[٣].

«**الْمُخْتَارِ**»: أي: المصطفى والمجتبَى الذي فَضَّله واصطفاه الله سبحانه وتعالى على غيره، فهو سيد ولد آدم، وسيد الخلق، وأفضل جميع المخلوقات ﷺ؛ قال الصحابي الكريم عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه: (مَا خَلَقَ اللهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ)[٤].

ثم قال:

٢- وَبَعْـدُ هَـاكَ سِـيرَةَ الرَّسُـولِ مَنْظُومَـةً مُوجَـزَةَ الْفُصُـولِ

«**وَبَعْدُ**»: كلمةٌ يُؤتَى بها للفصل بين مقدمة الكلام، وموضوعه؛ فيقول: «وبعدُ» أو يقول: «أمّا بعد» وهي الأصل، وينوب مَنابها أو يقوم مقامها أو تُختصر إلى

---

[١] ذكره البخاري تعليقا في صحيحه (٦/ ١٢٠)

[٢] ذكر ذلك في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٦) بتحقيق عمر عبد السلام السلامي.

[٣] بدائع الفوائد (١/ ٢٦).

[٤] رواه الحارث في مسنده، وقال الألباني في تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٣٨): صحيح موقوف.

«وبعد»، ويقال لها: (فصل الخطاب) الذي جاء ذِكْره في سورة (ص): ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص:٢٠]، ففُسِّر بأنه (أما بعد).

وكان في سُنّته ﷺ في خُطبه، بعد أن يفتتح خطبته بحَمد الله -تعالى-، والصلاة على النبي ﷺ، والتشهد، ونحو ذلك، يقول: (أما بعد)، ثم يشرع في موضوع حديثه؛ كقوله ﷺ في كتابه إلى هرقل: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]»[١].

«**هَاكَ**»: أي: خُذْ.

«**سِيرَةَ الرَّسُولِ**» ﷺ، وذكرنا تعريف السيرة.

«**مَنْظُومَةً**»: من النَّظم؛ بمعنى الشعر، أي: مُقابل: النثر، أي: أتى بسيرة النبي ﷺ وجَمَعها نَظْمًا.

«**مُوجَزَةً**»: من الإيجاز، وهو الاختصار؛ لأنها قليلة الأبيات (مائة بيت).

«**مُوجَزَةَ الْفُصُولِ**»: أي: مُقَسّمة إلى موضوعات، وإن لم يضع لها عناوين لكل باب أو فصل، ولكنها تذكر مراحل سيرته ﷺ مُرَتّبةً على ترتيب سيرته، فيذكر الأحداث التي وقعت قبل البعثة، ثم عند البعثة، ثم الهجرة،، ثم ما وقع من

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري رقم (٧)، صحيح مسلم رقم (١٧٧٣).

أحداث بعد هجرته إلى المدينة، هذا كله مُرَتّب على السنين.

ثم قال:

٣- مَـوْلِدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيـلِ رَبِيـعِ الأَوَّلِ عَامَ الْفِيـلِ

«مَوْلِدُهُ» أي: مولد النبي ﷺ «فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ»: أي: في اليوم العاشر من الشهر ذي الفضل.

«رَبِيعِ الأَوَّلِ»: وضّح أن هذا الشهر المقصود هو شهر ربيع الأول.

«عَامَ الْفِيلِ»: أي: العام الذي وقعت فيه حادثة الفيل؛ التي جاء ذِكْرها في كتاب الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ [الفيل: ١-٢].

وذلك أن أبرهة الحبشي أتى مكة قاصدًا هَدْم الكعبة، وجَعَل على جيشه فيلًا في مُقَدّم جيشه، فرَدّ الله ﷻ كيدهم، وعجزوا عن هَدْم الكعبة، وأهلكهم الله تعالى بهذه الطير التي أرسلها ومعها حجارة، فرَمَتهم وأهلكتهم.

وكانت العرب يُؤرّخون بالحوادث المشهورة، فيواصلون عدّ السنين إلى أن تحصل حادثة مشهورة، فيتركون ما فات ويبدءون التأريخ بالمرحلة الجديدة، فيجعلون هذه الحادثة هي السنة الأولى.

فهذا العام هو الذي وُلِد فيه النبي ﷺ، وهو عام الفيل.

ثم قال:

٤- لَكِنَّمَا الْمَشْـهُورُ ثَـانِي عَشْرِهِ فِي يَـوْمِ الاِثْنَـيْنِ طُلُـوعَ فَجْـرِهِ

«**لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ**»: أي: الناظم ﵀ رَجّح أن مولد النبي ﷺ كان في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول، لكنه أشار إلى أن القول المشهور عند العلماء «**ثَانِي عَشْرِهِ**» أي: أنه في اليوم الثاني عشر.

«**فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ**» وهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي قتادة ﵁ أن النبي ﷺ سُئل عن صَوْم يَوْمِ الِاثْنَيْنِ قَالَ: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ**»[١]

فولادته يوم الاثنين شيء مجزوم به، واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر[٢].

والقول بأنه ﷺ وُلِد في الثامن من ربيع الأول رواه الإمام مالك

عن الزهري عن محمد بن جُبير بن مُطعِم التابعي[٣].

والفلكيون يقولون: إن أول يوم اثنين في شهر ربيع الأول في السنة التي وُلِد فيها النبي ﷺ في عام الفيل كان يوافق يوم الثاني من ربيع الأول، وبزيادة (سبعة)؛ إذًا يوم الاثنين كان يوافق إما اليوم الثاني، أو التاسع، أو السادس عشر، أو ثلاثة وعشرين، فهذه أيام الاثنين في هذا الشهر الذي وُلِد فيه النبي ﷺ فلكيًّا، فلذلك قالوا: يستحيل أن يوم الاثنين يوافق يوم (١٢).

وكما هو معلوم: الحساب الفلكي بالنسبة للرؤية قد يتقدم يومًا أو يتأخر يومًا؛

---

[١] صحيح مسلم (١١٦٢).

[٢] الروض الأنف (٢/ ١٥٨)

[٣] السيرة النبوية لابن كثير (١/ ١٩٩)

فلذلك القول بأنه في الثامن أو العاشر لا يتعارض مع الحساب الفلكي؛ فالقول بأنه (العاشر) كما ذكر المؤلف، أو (الثامن) كما وَرَد عن محمد بن جُبير بن مُطعِم أصح وأرجح، من القول بأنه في (الثاني عشر).

ثم قال:

٥- وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا وَقَبْلَه حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا

«نَيْسَانَا»: نيسان: الشهر الرابع من شهور السنة الميلادية، يُسمى في بلاد الشام وغيرها (نَيْسان)، وفي مصر وغيرها من البلاد يسمى (أبريل April).

فإذًا ولادة النبي ﷺ بالميلادي: يوم (٢٠ أبريل أو ٢٠ نَيْسان) سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بالتقويم الميلادي (٥٧١م).

ووفاة النبي ﷺ بالتقويم الميلادي توافق اليوم الثامن في شهر السادس (يونيو June) سنة ثلاث وثلاثين وستمائة للميلاد (٦٣٣م).

والتاريخ الميلادي يقل من ناحية عدد السنوات، مائة سنة ميلادي تساوي مائة وثلاث هجري.

فلذلك سيكون هناك فَرْق في عدد السنوات، ناشئًا عن الفرق بين الهجري والميلادي.

«وَقَبْلَه حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا»: أي: قبل أن يولد النبي ﷺ «حَيْنُ أَبِيهِ»: أي: أَجَلُ أبيه «حَانَا»: أي: حَضَر.

أي: مات أبو النبي ﷺ وهو حَمْلٌ في بطن أُمّه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾[الضحى:٦].

ثم قال:

٦- وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا جَاءَتْ بِهِ مُرضِعُهُ سَلِيمَا

٧- حَلِيمَةٌ لِأُمِّهِ وَعَادَتْ بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ

يقول: «وَبَعْدَ عَامَيْنِ» أي: بعد أن أكمل وأَتَمّ عامين ﷺ من مولده «جَاءَتْ بِهِ مُرضِعُهُ سَلِيمَا»: أي: مُعافى.

«حَلِيمَةٌ»: اسم المرضعة، جاءت به «لِأُمِّهِ»، «وَعَادَتْ» أي: رجعت «بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ» أي: حصل لها ما أرادت وأخذته عندها.

مُرضعه: هي حليمة بن أبي ذُؤيْب السعدية، المشهور أنها أسلمت –رضي الله عنها وأرضاها– هي وزوجها.

وكان من عادة قريش: أنهم يُرسِلون أولادهم إلى البادية للرضاعة هناك؛ ليكتسبوا من أخلاق أهل البادية وعاداتهم الحميدة.

أُمّ النبي ﷺ أرسلته يرضع عند حليمة السعدية؛ فأخذته مُدّة سنتين لأجل الرضاعة، ثم عادت به لأُمّه بعد سنتين سليمًا معافًى ﷺ.

ولَمّا عادت لأُمّه استأذنتها أن تأخذه معها مُدّة أخرى؛ لأنها رأت البَرَكة في خلال هاتين السنتين؛ لَمّا أخذت النبي ﷺ لتُرضعه لم يكن في ثديها لبن، وكانت عندها شاةٌ هزيلة –أيضًا– يكاد ضَرْعها أن يجفّ، فلمّا أخذت النبي ﷺ إذا بها يُدِرّ

لبنها، وشاتها تسمن، وكل شيءٍ في بيتها ومالها تحِلّ فيه البَرَكة والزيادة والخير، فرأت في مُدّة بقائه ﷺ معها البَرَكة والزيادة والخير في جميع أمورها، فلمّا جاءت به إلى مكة لأُمه بعد سنتين استأذنتها أن تعود به إلى أهلها مُدةً أخرى ترعاه، وتريده أن يبقى معها، فحصل لها ما أرادت وأخذته عندها.

ثم قال:

٨- فَبَعْدَ شَــهْرَيْنِ انْشِــقَاقُ بَطْنِهِ　　　وَقِيــلَ بَعْــدَ أَرْبَــعٍ مِــنْ سِــنِّهِ

«فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ»: أي: بعد أن رجعت حليمة بالنبي ﷺ إلى ديارها وعمره سنتان، فبعدما مَرّ شهران آخران، فصار عمره سنتين وشهرين «انْشِقَاقُ بَطْنِهِ» حصلت حادثة شَقّ صَدْر النبي ﷺ «وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ» وقيل: عندما بَلَغ النبي ﷺ الرابعة، والثاني هذا هو الأشهر؛ أنه بعد أن أَتَمّ أربع سنوات ﷺ.

حصلت حادثة شَقّ صَدْر النبي ﷺ وَرَد ذِكْرها في صحيح مسلم عن أنس بن مالك ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ ، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ»[١].

قوله: (وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ) يُرَجّح أنه في الرابعة؛ سِن الرابعة هو السن

[١] صحيح مسلم (١٦٢)

الذي يمكن أن يلعب فيه مع الغلمان، لكن سنتان وشهران يُستبَعد ذلك.

(فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ) أي: أرقده على الأرض.

(فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً) أي: استخرج عَلَقة من قلب النبي ﷺ وألقاها بعيدًا، وقال: (هذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ).

(ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ) الطَّست: إناء واسع.

ووَرَد في بعض الروايات: في الطست الذي تُغسَل فيه قلوب الأنبياء.

(ثُمَّ لأَمَهُ) أي: ضَمّه مرةً أخرى.

(ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ -يعني ظِئْرَهُ-) الظِّئْر: هي المرضعة.

(فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ) لأن جبريل عليه السلام جاء في صورة رجل، والغِلمان رأوا رجلًا أخذ النبي ﷺ وأسقطه في الأرض وشَقّ صدره، فذهبوا إلى أُمّه وقالوا: (إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ).

(فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ) أي: مُتَغَيّر اللون.

(قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ) أي: كنت أرى أثر خياطة جبريل في صدر النبي ﷺ.

هنا المؤلف قال: «**انْشِقَاقُ بَطْنِهِ**» وفي رواية الإمام مسلم: (صدره) كما سبق، لكن جاء في رواية الإمام ابن إسحاق في السيرة: قال عن نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، قال: «**نعم، أنا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيم،**

وَبُشْرَى أَخي عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَه قُصُورَ الشَّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا، إِذْ أَتَانِي رَجُلانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ ثَلْجًا، فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بطني، واسْتَخْرَجَا قَلْبِي، فَشَقَّاه فاسْتَخْرَجا مِنْه عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلا قَلْبِي وبَطني بذَلِك الثَّلْجِ حَتّى أَنْقَيَاهُ، ثم قَال أَحدهما لصاحبه: زِنْه بعَشَرةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِم فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، فَقَالَ: دَعْهُ عَنْكَ، فَوالله لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَها»[١]. قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي[٢].

والجيد درجة بين الحسن والصحيح، أعلى من الحسن، وأدنى من الصحيح؛ قال الإمام السيوطي[٣]:

وَلِلْقَبُولِ يُطْلِقُونَ جَيِّدَا ... وَالثَّابِتَ الصَّالِحَ وَالْمُجَوَّدَا
وَهَذِهِ بَيْنَ الصَّحِّيحِ وَالحَسَنْ ... .

«أنا دَعْوَة أَبِي إِبْرَاهِيم»؛ لأنه قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٩].

«وَبُشْرَى أَخي عِيسَى» وهي قوله: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصف:٦].

---

[١] السيرة النبوية لابن إسحاق (١/ ٢٨).

[٢] السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٢٩).

[٣] ألفية السيوطي في علم الحديث (ص: ١٢).

وقد تكرر شَقّ صدر النبي ﷺ أكثر من مرة.

والمشهور: أنه ثلاث مرات:

- مرة وهو صغير في بادية بني سعد.

- والمرة الثانية قُبيل بعثته؛ تهيئةً له لنزول القرآن الكريم عليه.

- والمرة الثالثة: قبل الإسراء والمعراج؛ لَمّا أُسري بالنبي ﷺ فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وانفرج سقف البيت، وكان في بيت أُم هانئ، فأخذه وذهب به إلى الحِجْر، وشَقّ صَدره، وغَسَل قلبه بماء زمزم، أيضًا في الطست الذي تُغسَل فيه قلوب الأنبياء، ثم لأَمه، ثم عُرِج بالنبي ﷺ إلى السماء[١].

وقالوا: هذه الثلاثة هي كمال الطهارة؛ لأن كمال الطهارة لكلّ عضو أن يُغسَل ثلاث مرات؛ فغُسِل قلب النبي ﷺ ثلاث مرات، وكل واحدة كانت في حادثةٍ يناسبها ذلك.

ثم قال:

٩- وَبَعْـدَ سِـتٍّ مَـعَ شَـهْرٍ جَائِي   وَفَـاةُ أُمِّـهِ عَلَى الْأَبْـوَاءِ

«**وَبَعْدَ سِتٍّ**» أي: بعد أن بَلَغ النبي ﷺ ست سنوات من مولده الشريف ﷺ.

«**مَعَ شَهْرٍ جَائي**» جائي: اسم فاعل من الفعل (جاء).

«**وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الْأَبْوَاءِ**» الأبواء: موضع بين مكة والمدينة.

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٣٤٩، ١٦٣٦، ٣٣٤٢)، صحيح مسلم (١٦٣)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، صحيح البخاري (٣٢٠٧)، صحيح مسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

وذلك أنّ أُمّ النبي ﷺ آمنة بنت وهب لَمّا كان عُمره ست سنوات، ذهبت به لزيارة أخواله من بني النجار في المدينة، وبقيت عندهم شهرًا، ثم وهي في طريق العودة تُوفيت آمنة بنت وهب أُم النبي ﷺ في الأبواء، وكان عمره ست سنوات وشهر، فهي مدفونة هناك.

روى الإمام أحمد عن بُريدة بن الحصين رضي الله عنه قال: خرجت مع النبي ﷺ حتى إذا كنا بِوَدَّان[١] قال: «**مَكَانَكُم حَتَّى آتِيَكم**» فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل، قال: «**إِنِّي أَتَيْتُ قَبْرَ أُمِّ مُحَمَّدٍ، فَسَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ فَمَنَعَنِيهَا، وَإِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَكُلُوا، وَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْأَشْرِبَةِ فِي هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فَاشْرَبُوا فِيمَا بَدَا لَكُمْ**»[٢].

وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أُمّه، فبكى، وأبكى مَنْ حوله، فقال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لها فَلَمْ يُؤذَن لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا القبور فإنها تُذَكِّر الموت**»[٣].

والقول الصحيح الذي تُعَضّده الأحاديث الثابتة في الصحيحين أن أبويّ النبي ﷺ ماتا على غير الإسلام، ففي صحيح مسلم أيضًا أن رجلًا سأل النبي ﷺ قال: أين أبي؟ قال: «**فِي النَّارِ**»، فلما قفّى دعاه، فقال: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»[٤].

لكن في بعض الأحاديث: أن الله -تعالى- أحيا له أبويه، وأنهما آمنا به. لكنها

---

[١] وَدّان: مكان بين مكة والمدينة قريب من الأبواء.

[٢] مسند أحمد (٣٨/ ١٢٤) رقم (٢٣٠١٧)، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: حديث صحيح.

[٣] صحيح مسلم (٢/ ٦٧١) رقم (٩٧٦).

[٤] صحيح مسلم (١/ ١٩١) رقم (٢٠٣).

ما بين موضوعة أو شديدة الضعف لا يمكن أن تُعارِض أسانيد ما في الصحيح.

وهذا لا يُنقِص من مقام النبي ﷺ في شيء، كما أن إبراهيم –عليه السلام- كان أبوه كافرًا، ونوح –عليه السلام- ابنه كان كافرًا، وزوجته كانت كافرة، ولوط –عليه السلام- زوجته كانت كافرة.

فالله ﷻ يقضي ما يشاء، ويريد ﷻ أن يُظهِر أن الأمر كلّه بيده ﷻ، وأنه من أقارب الرسل مَنْ لا تنفعهم شفاعة، ولم ينتفعوا بقُربهم من الرسل بشِرْكهم وكُفْرهم، والله ﷻ أعلم.

ثم قال:

١٠- وَجَدُّه لِـلْأَبِ عَبْـدُ الْمُطَّلِبْ بَعْدَ ثَمَـانٍ مَاتَ مِنْ غَـيْرِ كَذِبْ

أي: بعد وفاة والد النبي ﷺ عبد الله، تولى رعايته عبد المطلب جد النبي ﷺ، وكان يفَضّله على أبنائه، ويجلسه في مجلسه، فلمّا أتمّ ثمان سنين ﷺ توفي جدّه عبد المطلب، أي: بعد وفاة أُمّه بسنتين.

ثم قال:

١١- ثُـمَّ أَبُـو طَالِـبٍ الْعَـمُّ كَفَلْ خِدْمَتَـهُ ثُـمَّ إِلَى الشَّـامِ رَحَـلْ

١٢- وَذَاكَ بَعْـدَ عَامِهِ الثَّانِي عَشَرْ وَكَانَ مِـنْ أَمْرِ (بَحِيـرَا) مَا اشْـتَهَرْ

أي: بعد أن تُوفي عبد الطلب تولّى كفالة النبي ﷺ عمه أبو طالب، وهو عمه الشقيق لأبيه، وألقى الله في قلبه حُب النبي ﷺ، فكان ينصره ويُقَدّمه على أولاده، وكان حَفِيًّا به ﷺ.

قوله: «وَذَاكَ بَعْدَ عَامِهِ الثَّانِي عَشَرْ»، وفي بعض النُّسخ: «وَذَاكَ بَعْدَ عَامِ اثْنَيْ عَشَرْ» نفس المعنى، والمقصود: عندما أتم النبي ﷺ اثني عشر عامًا رَحل إلى الشام مع عمه أبي طالب في التجارة،

«وَكَانَ مِنْ أَمْرِ (بَحِيرَا) مَا اشْتَهَرْ» وهو ما رواه الترمذي وغيره عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ». قَالَ: «فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا: لَا،

قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الكَعْكِ وَالزَّيْتِ[١].

(خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ) قريش كان لهم رحلتان للتجارة، إحداهما في الصيف إلى الشام، والأخرى في الشتاء إلى اليمن، فخرجوا للتجارة في الشام.

(فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ) أي: كانوا يمرون في طريقهم بِدَير الراهب، وهو بَحيرَا، كان راهبًا له دَيْر يتعبد فيه على بُعْد ستة أميال تقريبًا من مدينة بُصْرى في جنوب الشام، أي: في جنوب سوريا في الحدود الحالية، وكان بَحيرَا كبير القدر والشأن في نصارى الشام،

(فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ) أي: كانوا يمرون على دَيره فلا يلتفت إليهم ولا يخرج إليهم، لكن في تلك المرة خرج إليهم الراهب.

(قَالَ: «فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ؟) أي: ما الذي عرّفك بهذا؟

---

[١] سنن الترمذي (٥/ ٥٩٠) رقم (٣٦٢٠)، مصنف ابن أبي شيبة رقم (٣١٧٣٣، ٣٦٥٤١)، مسند البزار (٣٠٩٦)، وقال الحاكم المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٧٢): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وقال الألباني في فقه السيرة دفاع عن الحديث النبوي (ص: ٦٢ – ٧٢): صحيح لكن ذكر بلال فيه منكر.

(فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ) العقبة: هي مرتفع من الأرض، وهو في الدير يرى المرتفع من الأرض في الطريق الهابط إليه.

(لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ) أي: الأشجار والأحجار لا تسجد إلا لنبي.

(وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ) وكانت صفة خاتم النبوة مذكورةً في كُتبهم.

(ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ) أي: كان النبي ﷺ صغير السن، فكان يرعى لهم الإبل التي سافروا بها.

(فقَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ) أي: لَمّا قَدِم النبي ﷺ على بَحيرا كان عليه غمامة تُظِلّه.

(فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَ القوم قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ) أي: لَمّا ذهب النبي ﷺ إليهم وجد أشياخ قريش سبقوه إلى ظلّ الشجرة.

(فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ) أي: لَمّا جلس النبي ﷺ في المكان الذي لا ظل فيه، تَحوّل ظلّ الشجرة وصار يُظَلّل النبي ﷺ (فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ).

وكذلك في رواية أخرى صحيحة الإسناد، رواها ابن سعد في الطبقات بسنده:

(أنّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَوْ أَبَا طَالِبٍ -شَكَّ خَالِدٌ- قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ عَطفَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: فَكَانَ لا يُسَافِرُ سَفَرًا إلا كَانَ مَعَهُ فِيهِ. وَإِنَّهُ تَوَجَّهَ نَحوَ الشَّام فَنَزَلَ مَنْزِلَهُ فَأَتَاهُ فِيهِ رَاهِبٌ فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ رَجُلا صَالِحًا. فَقَالَ: إِنَّ فِينَا مَنْ يَقْرِي الضَّيْفَ

وَيفُكُّ الأَسِيرَ وَيفْعَلُ الْمَعْرُوفَ. أَوْ نَحْوًا مِنْ هَذَا. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فِيكُمْ رَجُلا صَالِحًا. ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ أَبُو هَذَا الْغُلامِ؟ قال: فقال ها أنا ذا وَلِيُّهُ. أَوْ قِيلَ هَذَا وَلِيُّهُ. قَالَ: احْتَفِظْ بِهَذَا الْغُلامِ وَلا تَذْهَبْ بِهِ إِلَى الشَّامِ. إِنَّ الْيَهُودَ حَسَدٌ. وَإِنِّي أَخْشَاهُمْ عَلَيْهِ. قَالَ: مَا أَنْتَ تَقُولُ ذَاكَ وَلَكِنَّ اللهَ يَقُولُهُ. فَرَدَّهُ. قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ مُحَمَّدًا! ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ)[١].

(أن عبد المطلب أو أبا طالب)، هذا شكّ من الراوي، ولكن الرواية ثابتة أنه أبو طالب.

قال: (احتفظ بهذا الغلام، ولا تذهب به إلى الشام، إن اليهود حُسُدٌ) أي: حَسَدة.

قال: (ما أنت تقول ذاك، ولكن الله يقوله) أي: قال أبو طالب للراهب ذلك.

ثم قال:

١٣- وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ... فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا

١٤- لِأُمِّنَا خَدِيجَةٍ مُتَّجِرَا ... وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا

«أَشْرَفُ الْوَرَى»: أي أشرف الخَلْق ﷺ.

«فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا» أي: لَمّا بَلغ سِنّه خمسة وعشرين عامًا.

«لِأُمِّنَا خَدِيجَةٍ مُتَّجِرَا» أي: مُتاجِرًا بأموال أُم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وقوله:

---

[١] الطبقات الكبرى (١/ ٩٦- ٩٧)، وقال الألباني: وهذا إسناد مرسل صحيح. موسوعة الألباني في العقيدة (٨/ ٢٤٥).

«**لِأُمِّنَا خَدِيـجَةٍ**» مع أنه لم يكن تزوجها بعدُ ﷺ، لكن باعتبار ما سيكون.

«**وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا**»: أي: رجع النبي ﷺ من هذه الرحلة رابحًا ربحًا كثيرًا، مستبشرًا ﷺ.

أي: النبي ﷺ رَحَل مرة أخرى إلى الشام، لَمّا بَلَغ عُمره خمسة وعشرين عامًا، وكانت رحلته في هذه المرة بتجارةٍ لخديجة -رضي الله عنها وأرضاها-.

وقصة ذلك: أنه كانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها امرأة تاجرة، ذات مال، وكانت تبعث بالأموال والتجارة إلى الشام مع ناس من قريش، فكانوا يُرزقون منها رِزْقًا حسنًا، كلما تبعث واحدًا تعطيه أُجرة كبيرة.

فقال أبو طالب للنبي ﷺ: إن خديجة تبعث الناس بتجارتها إلى الشام، ويُرزقون منها رِزْقًا حسنًا، فاذهب إليها، وخُذ تجارتها واذهب بها.

فذهب النبي ﷺ بأموالها ليتاجر بها، مع غلامها ميسرة، فأخذ النبي ﷺ مالها قِراضًا[١]، فذهب مع غلامها ميسرة بأموالٍ لها إلى الشام قراضًا، فرأى ميسرة ما بَهره من شأن النبي ﷺ من البَركة وكثرة الربح، وتظليل الغَمام للنبي ﷺ.

وكان أيضًا من ضمن الحوادث التي حكاها ميسرة لخديجة رضي الله عنها بعد أن رجع: أنه استحلفه رجلٌ باللات والعُزّى، فقال النبي ﷺ: «**لا أحلف باللات والعُزّى**» فقال: أنت صادق.

كذلك أيضًا أخبرها ميسرة أنه مَرّ مع النبي ﷺ على راهبٍ يقال له: (نسطورًا)،

---

[١] القراض: المضاربة، أي: المال من شخص والعمل من الآخر، ويتفق معه على نسبة من الربح.

فأول ما رآه قال: (إنه نبي)، وأخبر أنه وَجَد فيه علامة النبي ﷺ مع أنه كان قبل البعثة.

ثم قال:

١٥- فَـكَانَ فِيـهِ عَقْـدُهُ عَلَيْهَـا وَبَعْـدَهُ إِفْضَـاؤُهُ إِلَيْهَـا

«فَكَانَ فِيهِ»: أي: كان في هذا العام؛ وهو العام الخامس والعشرون من عُمره ﷺ، «عَقْدُهُ عَلَيْهَا» أي: على أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها وأرضاها–.

«وَبَعْدَهُ» أي: وبعد العقد عليها «إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا» أي: كان بناؤه بها عليه الصلاة والسلام.

وذلك أن ميسرة لَمّا حكى لخديجة رضي الله عنها ما رآه من النبي ﷺ من أمانته وصِدْقه، والبركة في بَيْعه، وتظليل الغمام له، وغيره، وكذلك ما وَجَدت خديجة من البركة ومُضاعفة الربح في هذه السَّفْرة، فَرَغِبَت خديجة في الزواج من رسول الله ﷺ.

فأرسلت خديجة امرأةً إلى النبي ﷺ تقول: لو أن خديجة رَغِبت في الزواج منك أتتزوجها؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**نعم**». فقالت: إنها راغبةٌ في الزواج منك.

وكانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قد تزوجت قبل النبي ﷺ رجلين؛ أحدهما: عتيق بن عائذ بن مخزوم، والثاني: أبو هالة النَّبّاش بن زُرارة التميمي.

فتزوجها رسول الله ﷺ وأقام معها أربعًا وعشرين سنةً ونصف، إلى أن توفيت –رضي الله عنها وأرضاها–.

وكانت رضي الله عنها أول مَنْ أسلم من الرجال والنساء على الإطلاق.

وصَحّ في الحديث: أن جبريل –عليه السلام– جاء إلى النبي ﷺ فقال: (هَذِهِ

خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ)[١].

ولَمّا غارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالت: (أبدلك الله خيرًا منها)، قال النبي ﷺ: «**مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلاَدَ النِّسَاءِ**»[٢].

وجاء في الحديث أيضًا أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خديجةَ ومَا رَأَيْتُهَا، ولَكِنْ كَانَ النبي ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّما ذَبح الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا في صدائِق خدِيجةَ، فَرُبَّما قلتُ لَهُ: كَأَنَّه لَمْ يَكُنْ في الدُّنْيا امرأةٌ إِلَّا خديجةُ! فيقولُ: «**إِنَّها كَانَتْ، وكَانَتْ، وكَانَ لي مِنْهَا ولَدٌ**»[٣].

وقال ﷺ: «**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ**»[٤].

ورُوي في حديث أنها ممّنْ كَمُل من النساء، قال النبي ﷺ: «كَمُل من النساء:

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٥/ ٣٩) رقم (٣٨٢٠)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٧) رقم (٢٤٣٢).

[٢] مسند أحمد (٤١/ ٣٥٦) رقم (٢٤٨٦٤)، المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ١٣) رقم (٢١، ٢٢)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٢): إسناده لا بأس به، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٤): رواه أحمد وإسناده حسن، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق مسند أحمد (٤١/ ٣٥٦): حديث صحيح وسنده حسن في المتابعات.

[٣] متفق عليه: صحيح البخاري (٥/ ٣٨) رقم (٣٨١٨)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٨) رقم (٢٤٣٥).

[٤] متفق عليه: صحيح البخاري (٤/ ١٦٤) رقم (٣٤٣٢)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٦) رقم (٢٤٣٠).

مريم بنت عمران، وأسيا بنت مُزاحِم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ»[١].

ثم قال:

١٦- وَوُلْدُهُ مِنْهَا خَلاَ إِبْرَاهِيمْ فَالأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمْ

«وَوُلْدُهُ»: هكذا بالضمة، أي: أولاده، جَمْع (وَلد)، كما في قراءة حمزة والكسائي: ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوُلْدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح:٢١]، ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وُلْدٌ﴾ [الزخرف:٨١].

«وَوُلْدُهُ مِنْهَا خَلاَ إِبْرَاهِيمْ» أي: كل أولاد النبي ﷺ ذكورًا وإناثًا كانوا منها ما عدا إبراهيم؛ كان من مارية القبطية.

ثم ذَكَر أولاد النبي ﷺ، قال: «فَالأَوَّلُ الْقَاسِمُ» أي: أول أبناء النبي ﷺ هو القاسم، وُلِد قبل البعثة ومات صغيرًا، والمشهور: أنه مات قبل البعثة أيضًا، وقيل: أدرك البعثة ومات بعدها.

وبه يُكنَى النبي ﷺ، فيقال له: (أبو القاسم).

«حَازَ التَّكْرِيمْ»: حَازَ الشيء: أي جَمَعه وظَفَر به، والمقصود: نَالَ هذا الشرف والتكريم أنه ابن لرسول الله ﷺ، وأنه أول أبنائه ﷺ.

ثم قال:

١٧- وَزَيْنَبٌ رُقَيَّةٌ وَفَاطِمَهْ وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَهْ

---

[١] تفسير الطبري (٦/ ٣٩٨).

أي: بعد القاسم، وُلدت زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، على هذا الترتيب.

فأما زينب -رضي الله عنها وأرضاها- فهي أكبر بنات النبي ﷺ، وتزوجت ابن خالتها (أبا العاص بن الربيع)، وقد أسلم رضي الله عنه وله صُحبة، وتوفيت سنة ثمان من الهجرة.

وبعدها: رقية -رضي الله عنها وأرضاها-، تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهاجرت معه إلى الحبشة في الهجرة الأولى، وماتت في شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وهذا الشهر هو الذي وقعت فيه غزوة بدر، وأثناء تَجَهّز النبي ﷺ للخروج إلى بدر كانت رقية مريضةً مَرَض موتها، فبقي معها زوجها عثمان يُمَرّضها، وتوفيت في تلك الأثناء.

ثم بعدها في ترتيب الولادة: فاطمة رضي الله عنها التي هي ممَّنْ كَمُل من النساء، وقد تزوجها علي -رضي الله عنه وأرضاه-، وكان زواج علي بها بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة، وتوفيت سنة إحدى عشرة من الهجرة، بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر.

«وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَةْ» أي: آخر بنات النبي ﷺ في ترتيب ولادتهن: هي أم كلثوم، وبعد وفاة رقية؛ بنت النبي عليه الصلاة والسلام في رمضان من العام الثاني من الهجرة، تزوج عثمان بأم كلثوم رضي الله عنها في ربيع الأول من العام الثالث من الهجرة؛ ولهذا يُلَقّب عثمان بـ (ذي النورين)، وَوَرد أنه ما تزوج أحد ابنتي نبيٍّ غير عثمان -رضي الله عنه وأرضاه-.

وبقيت معه إلى أن توفيت رضي الله عنها في العام التاسع من الهجرة.

ولَمّا توفيت أم كلثوم قال النبي ﷺ لعثمان: «**لو كانت لنا ثالثة لزَوّجناك**»[١].

ثم قال:

١٨- وَالطَّاهِرُ الطَّيِّبُ عَبْدُ اللهِ وَقِيلَ كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي

أي: السادس من أولاد النبي ﷺ: عبد الله، ويُلَقّب بالطيب، ويُلقب بالطاهر.

وسبب ذلك: أنه وُلِد في الإسلام، بعد بعثة النبي ﷺ؛ فلذلك لُقِّب بـ (الطيب والطاهر)، ومات عبد الله صغيرًا كذلك.

وهذا هو المشهور والصحيح: أن (الطيب والطاهر) لقبان لعبد الله ابن النبي ﷺ.

«وَقِيلَ». أي: هناك قولٌ ضعيف؛ لذلك حكاه بالصيغة التمريض.

«كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ» أي: كل من هذه الأسماء: (الطيب، والطاهر، وعبد الله) أنهم ثلاثة أبناء؛ فعلى هذا القول يكون أبناء النبي ﷺ من خديجة: أربعة أبناء، وأربع بنات، لكن هذا قول ضعيف.

والصحيح: أن النبي ﷺ له من خديجة ابنان فقط؛ أحدهما: القاسم، والثاني: عبد الله، وعبد الله يُلَقّب بالطيب، ويُلَقّب بالطاهر؛ لأنه وُلِد في الإسلام.

«زَاهي» أي: جميلٌ مُشرِق.

[١] إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع للمقريزي (٥/ ٣٥٠)، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز (١/ ٨٥)، وروي عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن لي أربعين بنتًا لزوجت عثمان واحدة بعد أخرى، حتى لا تبقى منهن واحدة».

قال:

١٩- وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامْ وَبَعْـدَهُ فَاطِمَـةٌ بِنِصْـفِ عَامْ

«وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ» أي: كل أولاده في حياته ﷺ «ذَاقُوا الْحِمَامْ» أي: ذاقوا الموت.

ثم استثنى فقال: «وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ بِنِصْفِ عَامْ» أي: ما عدا فاطمة، هي الوحيدة من أولاده ﷺ التي عاشت بعده نصف عامٍ، فتوفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر.

بعد ذلك حَكى قصة بناء الكعبة، فقال:

٢٠- وَبَعْـدَ خَمْـسٍ وَثَلاَثِينَ حَضَرْ بُنْيَـانَ بَيْـتِ اللهِ لَمَّـا أَنْ دَثَـرْ

٢١- وَحَكَّمُـوهُ وَرَضُـوا بِمَا حَكَمْ فِي وَضْـعِ ذَاكَ الْحَجَرِ الْأَسْـوَدِ ثَمْ

«وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلاَثِينَ» أي: لَمّا بَلَغ عُمر النبي ﷺ خمسًا وثلاثين سنةً.

«حَضَرْ بُنْيَانَ بَيْتِ اللهِ»: حَضَر النبي ﷺ بُنيان بيت الله.

«لَمَّا أَنْ دَثَرْ»

«ثَمْ» أي: هناك.

وذلك أن الكعبة المشرفة وَرَد أنه أول مَنْ بناها آدم –عليه السلام-، وقيل: بَنَتْهَا الملائكة لآدم –عليه السلام-.

ثم جَدّد بناءها إبراهيم –عليه السلام-؛ لأنه قال الله –سبحانه-: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[البقرة:١٢٧]، فمعناها: أن إبراهيم –عليه

السلام- لَمّا بنى الكعبة وَجَد القواعد والأساس موجودًا، وبنى فوقه، فكانت الكعبة موجودة قبله، لكن كانت متهدمة وقت أن بناها إبراهيم -عليه السلام- فَوَجَد أساسها ورَفعه وبناه.

ثم إن الكعبة انهدمت وجُدّد بناؤها عِدّة مرات؛ منها: مرة في حياة رسول الله ﷺ لَمّا بَلَغ عُمره خمسًا وثلاثين سنةً.

فانهدمت الكعبة بسبب سيل شديد أصابها فَهَدم بناءها.

وأرادت قريش أن تعيد البناء، ومما ذُكِر في ذلك: أنهم قالوا: (لا يدخل فيها درهم ربًا، ولا مهر بَغِي، ولا حُلوان كاهن).

فكانوا من بقايا شريعة إبراهيم عليه السلام يعرفون أن هذه الأموال خبيثة، وأنه لا يصح أن تُبنى بها الكعبة، ولا يدخل فيها إلا مال طيب[١].

فجمعوا من أموالهم، وقصرت بهم النفقة بسبب ذلك؛ فلذلك لم يُدخِلوا فيها الحِجْر، وأنقصوا شيئًا من ارتفاعها، وكان لها بابان: باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون، وكان الباب مُلصقًا بالأرض، فَهُم جعلوا بابًا واحدًا ورفعوه عن الأرض، فبنوها على هذه الهيئة.

والنبي ﷺ لَمّا فتح مكة قال لعائشة: «**يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ**»[٢]

---

[١] سيرة ابن إسحاق (ص: ١٠٤).

[٢] متفق عليه: صحيح البخاري (١/ ٣٧) رقم (١٢٦)، صحيح مسلم (٢/ ٩٦٩) رقم (١٣٣٣)

أي: لأعادها على بناء إبراهيم –عليه السلام-.

فلمّا بنوا الكعبة في هذا العام، تشاركوا في بنائها، فلمّا وصلوا إلى وَضْع الحجر الأسود –وهُم يعرفون فَضله ومكانته- اختصموا حتى كادوا أن يقتتلوا، كما في سيرة ابن إسحاق: (ثُمَّ إنَّ الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ جَمَعَتْ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَا، كُلُّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ، ثُمَّ بَنَوْهَا، حَتَّى بَلَغَ الْبُنْيَانِ مَوْضِعَ الرُّكْنِ) أي موضع الحجر الأسود (فَاخْتَصَمُوا فِيهِ، كُلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْأُخْرَى، حَتَّى تَحَاوَزُوا وَتَحَالَفُوا، وَأَعَدُّوا لِلْقِتَالِ) أي: انحازت كل قبيلة إلى جهة وكادوا يقتتلون (فَقَرَّبَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دمًا، ثُمَّ تَعَاقَدُوا هُمْ وَبَنُو عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ عَلَى الْمَوْتِ)... إلى آخره (وَمَكَثَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا) أي: وهُم مختلفون مَنْ الذي يضع الحجر الأسود في مكانه، كل قبيلة، والمقصود هنا: قبائل قريش، أي: بطون قريش، وفروع قريش، فكل فرعٍ من فروع قريش يريد أن يكون هو الذي يضع الحجر.

فقال أبو أُمَيّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم –وكان أَسَنّ قريش كلها- كان أكبرهم سِنًّا، قال: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ، رَضِينا، هَذَا مُحَمَّدٌ) ﷺ (فَلَمَّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، قَالَ ﷺ: «**هَلُمَّ إلَيَّ ثَوْبًا**») أي: ألهمه الله –تعالى- هذه الحكمة، (فَأُتِيَ بِهِ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ نواحي الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا**» فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه رسول الله ﷺ بيده، ثم بنى عليه، فكان رسول الله ﷺ يسمى في الجاهلية الأمين

قبل أن يوحى إليه)[١].

ثم قال:

٢٢- وَبَعْدَ عَامِ أَرْبَعِينَ أُرْسِلا   فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ يَقِينًا فَانْقُلا
٢٣- فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ   وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ

يقول: «وَبَعْدَ عَامِ أَرْبَعِينَ» أي: بعد أن بَلَغ النبي ﷺ أربعين عامًا.

«أُرْسِلا»: أي: أرسله الله -تعالى- رحمةً للعالمين، وأرسله للثقلين، كافة للناس بشيرًا ونذيرًا عليه الصلاة والسلام.

وكان النبي ﷺ أول ما بُدِئ به الوحي قبل نزول سورة (اقرأ) الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح.

وحُبِّب إلى النبي ﷺ أن يخلو بنفسه للتعبد.

فكانت أُم المؤمنين خديجة تُزَوّده بالطعام والشراب وما يحتاجه، فيذهب إلى غار حراء يتعبد الليالي ذوات العدد.

وفي تلك الفترة كان عليه الصلاة والسلام إذا مَرّ في طُرق مكة يسمع تسليم الشجر وتسليم الحجر عليه عليه الصلاة والسلام.

فالنبي عليه الصلاة والسلام- بينما هو في غار حراء بعد أن بَلَغ أربعين عامًا، وكان في غار حراء، جاءه جبريل -عليه السلام- وجاءه في صورة رجل، فَغَطّ النبي ﷺ قال: «**حتى**

[١] سيرة ابن إسحاق (ص: ١٠٧- ١٠٨).

بَلَغ مِنّي الجَهد» ثم أرسله، قال له: (اقرأ) ثلاث مرات يغط النبي ﷺ، ويقول له: (اقرأ) قال: «مَا أَنَا بقارئ»، ثم بعد المرة الثالثة قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق:١-٥][١].

٢٣- فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ

فيقول: إن بعثة النبي ﷺ كانت في رمضان أو في ربيع الأول؛ فهذان قولان وقع فيهما الخلاف بين علماء السِّيَر؛ والمشهور أنه في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول، وكان ذلك موافقًا ليوم الاثنين.

ويُوَفَّق بين هذا وبين ما في كتاب الله -عز وجل- أن القرآن الكريم أُنزل في رمضان كقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، بأنّ القرآن الكريم له تنزيلان -كما وَرَد عن ابن عباس رضي الله عنه-:

التنزيل الأول: هو نزوله دَفعةً واحدة إلى بيت العِزّة من السماء الدنيا؛ فهذا كان في ليلة القدر في رمضان.

والتنزيل الثاني: مُفرَّقًا على الوقائع خلال ثلاث وعشرين سنةً.

فالتنزيل الثاني هذا الذي وقع فيه الخلاف؛ هل كان بدايته في رمضان؟ أو كانت بدايته في الثامن من ربيع الأول؟

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (١/ ٧) رقم (٣)، صحيح مسلم (١/ ١٣٩) رقم (١٦٠).

وكانت بعثته ﷺ في يوم الاثنين؛ لأنه ﷺ سُئل عن يوم الاثنين قال: «**ذَاكَ يومٌ وُلِدتُ فيه، ويومٌ بُعثت -أو أُنزِل عليّ- فيه**»[١] فهو اليوم الذي بُعِث فيه، أو اليوم الذي أُنزِل عليه فيه القرآن.

فهذا معنى قوله: «فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ».

«وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ» أي: الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي أول ما نَزَل من القرآن؛ وهذا قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقول أكثر العلماء.

والقول الثاني: هو قول جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، وقول فريق كبير من أهل العلم، قالوا: (أول ما نَزَل من القرآن سورة المدثر)، قيل لجابر كما في الصحيحين[٢]: إنهم يقولون: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:١]، قال: أول ما نَزَل سورة المدثر.

وأكثر أهل العلم حَمَلوا قول جابر رضي الله عنه على أنه كان يقصد أول سورة كاملة؛ لأن سورة اقرأ نزل منها خمس آيات فقط.

أو أول ما نَزَل يأمره بالبلاغ؛ فإن سورة اقرأ نُبِّئ بها النبي ﷺ وأُرسِل بالمدثر.

أو أول ما نزل عليه بعد أن فَتَر الوحي؛ لأن بعد اقرأ فَتَر الوحي مُدّة، ثم نزلت عليه سورة المدثر.

ثم قال:

٢٤- ثُمَّ الْوُضوءَ وَالصَّلَاةَ عَلَّمَهْ   جِبْرِيلُ وَهْيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَةْ

---

[١] صحيح مسلم (٢/ ٨١٩) رقم (١١٦٢).

[٢] صحيح البخاري (٦/ ١٦١) رقم (٤٩٢٢)، صحيح مسلم (١/ ١٤٤) رقم (١٦١).

أي: جاء جبريل إلى النبي ﷺ بعد بعثته وعَلّمه صفة الوضوء والصلاة، وهذا قبل أن تُفرَض الصلوات، فعَلّمه أن يصلي ركعتين بعد طلوع الشمس، وركعتين قبل غروبها، فكان يصلي ركعتين في وقت الضحى، وركعتين قبل غروب الشمس.

وقال ابن إسحاق: (وَحدّثَني بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ الصّلَاةَ حِينَ افْتُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكّةَ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ، فَتَوَضَّأَ جِبْرِيلُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ لِيُرِيَهُ كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا رَأَى جِبْرِيلَ تَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ به جِبْرِيلُ فَصَلَّى بِهِ وَصَلَّى رسول الله ﷺ بِصَلَاتِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ جِبْرِيلُ)[١].

ثم نَزَل بعد ذلك سورة المزمل، وفُرِض فيها قيام الليل على النبي ﷺ.

ثم بعد ذلك نُسِخَ فرض القيام، وبقي نَدْبه واستحبابه.

«وَهْيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَةْ»: الْمُحكَم هو غير المنسوخ، فالقصد هنا: أن الصلاة شُرِعت ركعتين ولم نُؤمَر بتَرْك تلك الصلاة، وإنما زِيْد عليها من جهة فَرضية بعض الصلوات، وزيادة عدد ركعات الصلاة، وعدد الصلوات.

ثمّ قال:

٢٥- ثُمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةْ فَرَمَتِ الْجِنَّ نُجُومٌ هَائِلَةْ

«فَرَمَتِ الْجِنَّ نُجُومٌ»: تقديم وتأخير، أي: رَمَت النجومُ الجن.

وهذا معنى قول الله -سبحانه- عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ

[١] سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٤).

حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن:٨-٩].

فبعد عشرين يومًا من مبعث النبي ﷺ رأت قريش النجوم يُرمَى بها، نجوم هائلة مخيفة، يُرمَى بها بشكل غريب.

وجاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (كان الجن يصعدون إلى السماء، يسمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا) يسمعون كلمة ويزيدون فيها تسعة.

(فأما الكلمة فتكون حقًّا، وأما ما زاد فيكون باطلًا، فلما بُعِث رسول الله ﷺ مُنِعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس -ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك- فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أَمْرٍ قد حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلي بين جبلين، قال: أراه، قال: بمكة، فأتوه فأخبروه) أي: جنود إبليس ذهبوا إلى إبليس فأخبروه، (فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض)[١]، أنه بُعِث النبي الخاتم ﷺ.

ثم قال:

٢٦- ثُـمَّ دَعَا فِي أَرْبَـعِ الْأَعْـوَامِ بِالْأَمْـرِ جَهْـرَةً إِلَى الْإِسْـلَامِ

«ثُمَّ دَعَا فِي أَرْبَعِ الْأَعْوَامِ»: أي: في العام الرابع من بعثته ﷺ بدأ في الدعوة الجهرية.

فمعناه أنه في السنوات الثلاث الأُوَل من مبعثه ﷺ كان يدعو إلى الله -تعالى-

[١] سنن الترمذي (٥/ ٤٢٧) رقم (٣٣٢٤).

سِرًّا، وكان يجتمع بأصحابه في فترة الدعوة السرية في دار الأرقم بن أبي الأرقم -رضي الله عنه وأرضاه- وهو شاب من شباب الصحابة من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكان من سادة قريش، وله دار كبيرة قُرْب الصفا، فكان النبي ﷺ يجتمع بأصحابه عند تلك الدار، يُعَلّمهم الدين، ويُعلّمهم مما عَلّمه الله -تعالى-، ومما ينزل عليه من القرآن.

وأبو بكر رضي الله عنه بعد أن أسلم، كان رجلًا تاجرًا، وكان صديقًا للنبي ﷺ قبل البعثة، فلمّا دعاه النبي ﷺ أسلم، ثم إن أبا بكر كان له أصدقاء من أصحابه، وكانوا تُجّارًا أيضًا، فأسلموا على يديه، وفي اليوم التالي لإسلام أبي بكر رضي الله عنه جاء ومعه عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة، وطلحة، والزبير -رضي الله عنهم وأرضاهم- ستة من العشرة المبشرين أسلموا على يد الصديق -رضي الله عنه-.

ثم تَتابع إسلام الصحابة حتى بلغوا نحو أربعين صحابيًّا -رضي الله عنهم- من السابقين الأولين في الفترة السرية من الدعوة.

فيقول: «فِي أَرْبَعِ الْأَعْوَامِ» أي: أول ما بدأ العام الرابع، بعد إتمام ثلاث سنوات من الدعوة سرًّا، نزل على النبي ﷺ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤].

فكان هذا أَمرًا له ﷺ أن يدعوا إلى الله -تعالى- جَهْرًا، فَجَهر بالدعوة ﷺ.

ثم قال:

٢٧- وَأَرْبَعٌ مِنَ النِّسَا وَاثْنَا عَشَرْ ... مِنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ

٢٨- إِلَى بِلَادِ الْحُبْشِ فِي خَامِسِ عَامْ ... وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامْ

أي: أربع من النساء، واثنا عشر من الرجال هاجروا إلى بلاد الحبشة، وهذه هي الهجرة الأولى؛ وهذا خلاف المعروف والمشهور في كُتب السيرة، أن الذين هاجروا الهجرة الأولى خمس نسوة، واثنا عشر رجلًا، فروا بدينهم من التعذيب والأذى الذي تعرضوا له من قريش، حيث قال لهم النبي ﷺ: «**إنّ بالحبشة مَلِكًا لا يُظلَم عنده أحد**»[١].

فالنسوة الخمس مع أزواجهن:

المرأة الأولى: رقية بنت النبي ﷺ مع زوجها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمرأة الثانية: أُم سَلَمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع زوجها أبي سَلمة بن عبد الأسد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمرأة الثالثة: سَهلة بنت سُهيل مع زوجها أبي حذيفة بن عُتبة بن ربيعة.

والمرأة الرابعة: ليلى بنت أبي خَيثمة العدوية، مع زوجها عامر بن ربيعة.

والمرأة الخامسة: أُم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو، مع زوجها أبو سَبرة بن عبد العُزّى.

فهؤلاء عشرة.

ثم يزيد عليهم: الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، ومصعب بن عُمير، وحاطب بن عمرو، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن مسعود، وهاشم بن عُمير.

فهؤلاء السبعة مع العشرة، المجموع: سبعة عشر.

فهم خمس نسوة مع أزواجهن، وسبعة رجال لم يكن معهم نساء.

[١] سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣).

«فِي خَامِسِ عَامْ»: أي: في العام الخامس من بعثته ﷺ، كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة.

قال: «وَفِيهِ عَادُوا» أي: في نفس العام الخامس من البعثة هاجروا إلى الحبشة فترة، ثم عادوا إلى مكة.

قال: «ثُمَّ عَادُوا لا مَلاَمْ» أي: ثم عادوا إلى الحبشة مرةً أخرى.

ما سبب عودتهم إلى مكة؟

عادوا إلى مكة في نفس العام لأنهم بلغهم أن قريشًا أسلمت، بعد أن هاجروا إلى الحبشة كان حصل موقف وهو سجود قريش لَمّا تلا النبي ﷺ سورة النجم، النبي ﷺ تلا على كفار قريشٍ سورة النجم، فلمّا بَلَغ قوله -تعالى-: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾[النجم:٦٢] فَسَجَد كل مَنْ كان معه، الكفار خرّوا ساجدين، إلا رجلًا منهم استكبر أن يسجد، فأخذ كَفًّا من التراب، ووضعه على أنفه[١].

فلعل بعض مَنْ رأي النبي ﷺ يقرأ القرآن، وأبو جهل وأبو لهب وكل قادة قريش يسجدون معه، فأُشيع أن قريشًا أسلمت والناس كلهم أسلموا مع النبي ﷺ، ووصلت الشائعة إلى الصحابة وهُم في الحبشة، فرجعوا، فوجدوا الأمر ليس كذلك، فأقاموا في مكة ثلاثة أشهر، ضاعفت قريش عليهم فيها الأذى والعذاب والإيذاء، فعادوا مرة أخرى إلى الحبشة، وهي الهجرة الثانية.

ولَمّا عادوا إلى الحبشة في المرة الثانية انضم إليهم عدد آخر، فصاروا في

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٢/ ٤٠) رقم (١٠٦٧)، صحيح مسلم (١/ ٤٠٥) رقم (٥٧٦).

الهجرة الثانية ثماني عشرة امرأة، واثنان وثمانون رجلًا، هذا هو المشهور، لكن المؤلف قال:

٢٩- ثَلَاثَـةٌ هُـمْ وَثَمَانُـونَ رَجُـلْ وَمَعَهُـمْ جَمَاعَـةٌ حَـتَّى كَمُـلْ

٣٠- وَهُـنَّ عَـشْرٌ وَثَمَانٍ ثُـمَّ قَدْ أَسْـلَمَ فِي السَّـادِسِ حَمْزَةُ الْأَسَـدْ

«وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ حَتَّى كَمُلْ» أي: ومعهم جماعة من النسوة. «وَهُنَّ عَشْرٌ وَثَمَانٍ»: أي: مجموعهن ثماني عشرة امرأة.

أي: الخلاصة يقول: ثلاثة وثمانون رجلًا، ومعهم ثماني عشرة امرأة؛ منهنّ: أسماء بنت عُميس -رضي الله عنها وأرضاها-، فذهبت بعد عودتها من الحبشة تزور حفصة -أم المؤمنين رضي الله عنها- فلقيها عمر بن الخطاب، فقال يسأل ابنته: (مَنْ هَذِهِ؟) قَالَتْ: (أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ)، قَالَ: (الْحَبَشِيَّةُ ؟ هَذِهِ الْبَحْرِيَّةُ؟) أي: التي كانت في الحبشة وسافرت في البحر. (قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ) أي: أنا الحبشة البحرية. (قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ) أي: هاجرنا إلى المدينة قبلكم، (فَغَضِبَتْ أسماء وَقَالَتْ: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ، كَلَّا، وَاللهِ لقد كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ؛ وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَاللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ ذلك لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ يا أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ»[١]. يقصد هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة.

(قَالَتْ: رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا) أي: يسألونها عن

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٥/ ١٣٧) رقم (٤٢٣١)، صحيح مسلم (٤/ ١٩٤٦) رقم (٢٥٠٣).

الحديث، ويُعيدون سماعه منها. (مَا في الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ عندهم من هذا الحديث).

«أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمْزَةُ الْأَسَدْ» قصة إسلام حمزة رضي الله عنه: هو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من وجهاء قريش، ومن كبرائهم، وكان يذهب إلى الصيد، وكان مُشركًا في ذلك الوقت، فكان النبي عليه الصلاة والسلام في المسجد الحرام، وسَبّه أبو جهل، وكلّمه بكلام منكر، فأعرض عنه النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله –تعالى– قال له: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦]، وسمعته جارية لعبد الله بن جدعان، فقَدِم حمزة من الصيد ومعه قوسه، فقالت له: ألا ترى ما يقول أبو جهل لابن أخيك؟ أي: ألا تذهب تنصر ابن أخيك، أبو جهل يسبه ويقول كذا وكذا.

فغضب حمزة رضي الله عنه غضبًا شديدًا، وذهب بقوسه فضرب أبا جهل على رأسه فشَجّ رأسه بقوسه، وقال: (أَتَسُبّه وأنا على دينه) وهو لم يكن أسلم، لكن أجرى الله الكلمة على لسانه، فلمّا قالها بات ليلته يفكر، ثم ألقى الله –تعالى– الإيمان في قلبه، فذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وقال: (أنا على دينك) ودخل معه في الإسلام، وأَعَزّ الله –تعالى– به المسلمين.

وبعده بأيامٍ أسلم عمر رضي الله عنه، فكان إسلامهما فَتْحًا ونَصرًا كبيرًا للإسلام والمسلمين، وسببًا في كَفّ قريش كثيرًا من الأذى عن المسلمين.

ثم قال:

٣١- وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رِسَالَتِهْ مَاتَ أَبُو طَالِبَ ذُو كَفَالَتِهْ

٣٢- وَبَعْدَهُ خَدِيجَةٌ تُوُفِّيَتْ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ

«أَبُو طَالِبَ» مَنْع المصروف لأجل ضرورة الوزن.

فقال: إن أبا طالب مات بعد تسع سنين من رسالة النبي ﷺ، وقبل وفاة أبي طالب وقعت حادثة حصار بني هاشم والمسلمين في شِعْب بني هاشم؛ فإن قريشًا لَمّا قَوِي شأن المسلمين وكَثُروا كتبت صحيفةً ووضعتها في الكعبة، وفيها أنهم لا يبيعون ولا يشترون، ولا يُزَوّجون ولا يتزوجون من المسلمين، وممَّنْ يُناصرهم من بني هاشم.

وكان عامة بني هاشم -حتى مَنْ كان منهم مُشرِكًا- يناصرون النبي ﷺ عصبيةً وحَمِيّةً؛ لأنه من عشيرتهم وقبيلتهم، إلا نَفَرًا قليلًا مثل أبي لهب؛ كان مع قومه يؤذي النبي ﷺ.

وكان من لُطْف الله ﷻ أن نَفَرًا من ذوي الحمية، ممَّنْ لهم أيضًا قرابات من بني هاشم من البطون الأخرى، كان فيهم من المروءة، وقالوا: كيف نترك أهلنا وقرابتنا لا يجدون ما يأكلون، فكانوا يُهَرِّبون إليهم بعض الطعام خُفية عن قومهم، شيئًا يسيرًا.

لكن اشتد الأذى والجوع بالنبي ﷺ وأصحابه حتى أكلوا ورق الشجر.

وكان ممَّنْ معه في الحصار أبو طالب، وهو مشرك، وكذلك أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها وأرضاها-.

ومُدة الحصار كانت ثلاثة أعوام: العام السابع كله، والعام الثامن كله، وجزء من العام التاسع.

ثم بعد ذلك أوحى الله –تعالى– إلى النبي ﷺ أن الأَرَضة[١] أكلت الصحيفة التي كتبوها وتعاقدوا عليها في الكعبة، فأخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب بذلك، فقال: والثواقب ما كذبتني.

ثم إنه خَرَج ومعه بعض بني عبد المطلب، وطلبوا أن يقابلوا مَلأ قريش، فأَذِنوا لهم في الخروج، وذهبوا والتقوا بقادة قريش، فقال لهم أبو طالب: إنه كانت بيننا أمور، وكتبناها في الصحيفة، وإني نسيت ما كان مكتوبًا فيها، أخرجوا الصحيفة ننظر فيها وعسى أن يكون بيننا وبينكم صُلح.

فظنت قريش أنه يريد أن يُسلِم محمدًا ﷺ؛ لأنه كان في التعاقد الذي تعاقدوا عليه أنهم يُحاصرونهم إلى أن يُخَلّوا بينهم وبين محمد ﷺ ليقتلوه، أو يتصرفوا معه ﷺ، بما كانوا يُضرِمون من أنواع الأذى.

فذهبوا ليُخرجوا الصحيفة، فإذا بها قد أكلتها الأَرضة إلا ما كان فيها من ذِكْر الله.

فكانت هذه علامةً جعلت تحالفهم ينفَضّ، وكان هذا سببًا في إنهاء الحصار، وخروج النبي ﷺ ومَنْ معه من الشِّعْب.

بعد الخروج من الشّعب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يومًا توفي أبو طالب، وهو الذي كان يكفل النبي ﷺ وينصره، ومما قاله أبو طالب:

ودَعوتَني وعَلِمتُ أنَّكَ صادقٌ ... ولَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنتَ ثَمَّ أَمِينَا

[١] الأرضة: الحشرة التي تأكل الورق.

وَلَقَـدْ علمتُ بِأَنَّ دِيْـنَ مُحمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيانِ الْبَرِيّةِ دِيْنًا

ثم بعدها أبيات، إلى أن يختمها ويقول:

لَـوْلَا الْمَلامَـةُ أَو حَذَارُ مَسَـبَّةٍ ... لَوَجَدْتَني سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

فيقول: إنه يعلم أن النبي ﷺ هو الصادق الأمين، ويعلم أن دينه هو الحق، ولكن لولا الملامة وخوف المسبّة لكان سَمْحًا بالإسلام وبالاستجابة للنبي ﷺ.

فالموانع من الاستجابة للحق، والصوارف عن الحق كثيرة، هذا واحد منها؛ وهو خوف الملامة وخوف المسبة.

فلَمّا مات جاء العباس بعد ذلك إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: (عمك أبو طالب كان يحوطك وينصرك، فماذا أغنيت عنه؟).

فقال: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[١] وفي رواية: «**يَلبَسُ نعلينِ من نار، يغلي منهما دماغه**»[٢].

فالنبي ﷺ شَفَعَ فيه فخُفّف عنه العذاب.

ثم بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام توفيت خديجة أم المؤمنين –رضي الله عنها–.

ثم قال:

٣٣- وَبَعْدَ خَمْسِـينَ وَرُبْعٍ أَسْـلَمَا ... جِـنُّ نَصِيبِـينَ وعَادُوا فَاعْلَمَـا

«وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ» أي: بعد خمسين سنة وثلاثة أشهر، أي: لَمّا كان سِنّ

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٥/ ٥٢) رقم (٣٨٨٣)، صحيح مسلم (١/ ١٩٤) رقم (٢٠٩).

[٢] صحيح مسلم (١/ ١٩٥) رقم (٢١١).

النبي ﷺ خمسين عامًا وثلاثة أشهر.

«أَسْلَمَا جِنُّ نَصِيبِينَ» نصيبين: بلدة حاليًا تقع في داخل حدود تركيا، وتركيا سابقًا كان يقال لها: بلاد الروم، أي: في هذا الوقت أسلم جِن نصيبين.

«وعَادُوا فَاعْلَمَا»: أي: عادوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام.

كان إسلام جن نصيبين في هذا الوقت، في أثناء عودة النبي ﷺ من الطائف، بعد وفاة أبي طالب وخديجة أم المؤمنين ﵂، وسُمي عام الحُزن؛ لأنه اشتد فيه الحزن بالنبي ﷺ.

وفكّر النبي ﷺ أن يذهب إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام، لعلهم يكونون أَلْيَنَ قلوبًا من أهل مكة، فإذا بهم أسوأ حالًا من أهل مكة، وسلّطوا على النبي ﷺ السفهاء والصبيان يضربون النبي ﷺ بالحجارة حتى أدموا رِجْليه ﷺ.

ودعا النبي ﷺ بالدعاء المعروف، الذي أوله: **«اللّهُمّ إِنّي أَشْكُو إِلَيْك ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، لَك العُتبى حتى ترضى»**[١].

وهذا كان من أشد الأيام عليه ﷺ حتى أن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: يا رسول الله! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، فهل كان يوم أشدّ عليك من يوم أُحد؟

فأخبر النبي ﷺ: يوم كَذّبه أهل الطائف وآذوه كان أشد عليه من يوم أُحد، قال:

[١] المعجم الكبير للطبراني (١٣/ ٧٣).

«**يا عائشة! لقد لقيت من قومك، وَكَانَ أَشَدُّ ذلك عليّ..**» ثم ساق قصة ذهابه إلى الطائف ﷺ.

فرجع النبي ﷺ حزينًا من الطائف، ومن شدة الهمّ، ظل يمشي لا يعرف أين هو في الطريق، حتى انتبه، إذا به قَطَع مسافة طويلة ماشيًا على قدميه ﷺ، وقال: «**انقلبتُ مهمومًا على وجهي، فلم أُفِق إلا وأنا بقرن الثعالب**»[١].

فمَرّ بوادٍ يقال له وادي نخلة بين الطائف ومكة، فوقف النبي ﷺ في هذا الوادي يصلي بالليل، فبعث الله -تعالى- له جن نصيبين، وكانوا سبعة من الجن، فجاء هؤلاء الجن إلى النبي ﷺ، واستمعوا إلى قراءته وهو يقرأ القرآن ويصلي، ثم آمنوا بالنبي ﷺ، وعادوا إلى قومهم مُنذرين[٢].

وهُم الذين ذكرهم الله -تعالى- في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[الأحقاف:٢٩-٣١] .

ثم قال:

٣٤- ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهْ	فِي رَمَضَانَ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهْ
٣٥- عَقْدُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ	وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِ

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٤/ ١١٥) رقم (٣٢٣١)، صحيح مسلم (٣/ ١٤٢٠) رقم (١٧٩٥).

[٢] سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٢).

يقول: «**ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهْ فِي رَمَضَانَ**» أي: بعد أن توفيت أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها وأرضاها- جاءت خولة بنت حكيم ﵂ إلى النبي ﷺ، وقالت: (ألا أخطب عليك) أي: ألا أخطب لك مَنْ تتزوجها بعد وفاة خديجة؟ فقال النبي ﷺ: «**ومَنْ؟**» أي: تخطبين مَنْ؟

(قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا) أي: إن أردتَ أخطب لك بِكْرًا، وإن أردتَ أخطب لك ثيّبًا.

(فقَالَ: «**وَمَنِ الْبِكْرُ؟ وَمَنِ الثَّيِّبُ؟**»، قَالَتْ: سودة، وعائشة)[١].

(فقال ﵇: «**فاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**») أي: رَغِب النبي ﷺ في الزواج بكلتيهما –﵄ وأرضاهما-.

أم المؤمنين سودة –رضي الله عنها وأرضاها- كانت ممَّنْ هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وكان فيها ثمان عشرة امرأة، منهم أم المؤمنين سودة ﵂، هاجرت مع زوجها السَّكْران بن عمرو –﵁ وأرضاه- وكان ابن عمها، وهو صحابي كريم، أيضًا من السابقين الأولين، وهو أخو حاطب بن عمرو، وسهيل بن عمرو؛ زعيم قريش.

ومعظم المهاجرين إلى الحبشة، بقوا إلى العام السابع من الهجرة، ثم قَدِموا من الحبشة على المدينة بعد فَتْح خيبر.

لكن سودة وزوجها السكران بن عمرو ﵁ رجعوا من الحبشة إلى مكة قبل الهجرة إلى المدينة.

---

[١] المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٧٧).

فلم يلبث أن توفي السكران بن عمرو، وكانت سودة في ذلك الوقت معتدّةً من وفاة زوجها، فلمّا انقضت عِدّتها خطبها النبي ﷺ.

«فِي رَمَضَانَ» أي: تزوجها في شهر رمضان، وكان وليها في التزويج ابن عمها الآخر، وهو حاطب بن عمرو، فزوّجها للنبي ﷺ.

من مآثرها –رضي الله عنها وأرضاها- أنها كانت تعلم حُب النبي ﷺ لعائشة، وكانت قد كَبرت سِنّها فآثرت عائشة بليلتها.

فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة ليلتين: ليلتها وليلة سودة، ولبقية نسائه ليلة[١].

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: **«مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلاخِهِ مِنْ سَوْدَةَ إلا حِدَّةً فيها كانت تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ»**[٢].

أي: تقول: ما في أحد أخلاقه وطبائعه أحبّ إلي من أن أكون مثله من سودة، إلا أنها كان فيها حِدّة لكن تُسرِع منها الفيئة –رضي الله عنها وأرضاها-.

وتوفيت رضي الله عنها سنة أربع وخمسين من الهجرة في أيام خلافة معاوية رضي الله عنه.

« ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ» أي: بعد أن تزوّج النبي ﷺ سودة في رمضان.

«عَقْدُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ»أي: عقد على عائشة رضي الله عنها في شوال.

وكانت عائشة صغيرةً بنت ست سنين، فعَقَد عليها ﷺ، وكان قد رأى فيها رؤيا، أي: جاءه جبريل بها في سَرَقَة من حرير، أي: ملفوفة في ثوب من حرير وقال:

---

[١] صحيح البخاري (٣/ ١٥٩) رقم (٢٥٩٣)،

[٢] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٦٧).

(هذه زوجتك) ثلاث مرات[١]. ورؤيا الأنبياء حق.

وكان من حكمة الله –تعالى- أن النبي ﷺ تزوّجها وهي في هذه السن، فكانت أكثر أزواجه حِفْظًا لحديثه ونَقْلًا لِمَا تعلّمته من النبي ﷺ.

لكن البناء بها كان وهي بنت تسع، وكان ذلك في المدينة.

وقد عاشت رضي الله عنها إلى سنة ثمانٍ وخمسين من الهجرة، -رضي الله عنها وأرضاها-.

ونزل في براءتها الآيات في سورة النور، وكانت أحبّ أزواج النبي ﷺ إليه.

وكان الوحي لا ينزل على النبي ﷺ وهو في لحاف امرأةٍ غيرها، وكان هذا من خصائصها –رضي الله عنها وأرضاها.-

٣٥- .... وَبَعْـدَ خَمْسِـينَ وَعَامٍ تَـالِ

٣٦- أُسْرِي بِهِ وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ خَمْسًـا بِخَمْسِـينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ

«وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِ» أي: بعد إحدى وخمسين سنة.

«أُسْرِيْ بِهِ» أي: كانت حادثة الإسراء والمعراج، وفي بعض الروايات أنه كان عُمر النبي ﷺ إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر.

فأُسري بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، حيث جاءه جبريل، وانفرج سقف البيت، وأخذه، وذهب به إلى الحجر وغَسل صدره، وكان مع جبريل دابة يقال لها (البُراق)، فركبها النبي ﷺ، يضع حافره عند منتهى طرفه، فذهب إلى بيت

---

[١] صحيح البخاري (٥/ ٥٦) رقم (٣٨٩٥).

المقدس، وجَمَع الله –تعالى– له الأنبياء، فصلى بهم ﷺ إمامًا، ثم أُتي بالمعراج الذي يُصعَد به إلى السماء، وهو شيء لا نعلم كيفيته، فصُعد بالنبي ﷺ من بيت المقدس إلى السماء السابعة، وأثناء مروره بالسموات في كل سماء يلقى مَنْ فيها من الأنبياء، ويُسَلّم عليهم، ويُسلّمون عليه ﷺ حتى صَعِد إلى سدرة المنتهى.

«**وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ**» أي: عندما صَعِد إلى سدرة المنتهى كَلّمه ربه ﷻ، وفَرَض عليه الصلوات الخمس.

«فلما فرضها عليه كانت خمسين صلاةً في اليوم والليلة، كل صلاةٍ ركعتين، فلمّا نزل إلى السماء السادسة لَقي موسى –عليه السلام–، فسأله: ماذا فَرَض عليك ربك؟ قال: «**فَرَض عليّ خمسين صلاةً في اليوم والليلة**» قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فصَعد إلى الله ﷻ فَوَضع عنه عشرًا، ثم نزل إلى موسى، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فإني عالجت من بني إسرائيل ما لم تُعالِج، وتكرر هذا، فوضع عنه عشرًا، ثم عشرًا، ثم عشرًا، حتى صارت عشر صلوات، ثم وَضع عنه خمسًا، فصارت خمس صلوات، فلما مَرّ على موسى –عليه السلام– قال: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فقال ﷺ: «**إني استحييت من كثرة ما راجعت ربي**» فناداه الله ﷻ: أمضيت فريضتي، هن خمس وهن خمسون»[١]، أي: خمس في الأداء، وخمسون في الأجر والثواب.

فهذا معنى قوله: «**خَمْسًا بِخَمْسِينَ**» أي: خمس صلوات، ولكن الله –تعالى– فرضها خمسين؛ ليكتب للأُمّة أَجْر خمسين، فخفف عنهم العمل، وجعلها

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٩/ ١٤٩) رقم (٧٥١٧)، صحيح مسلم (١/ ١٤٥) رقم (١٦٢).

خمسًا، لكن أبقى أَجْر الخمسين كما هو.

ثم قال:

٣٧- وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَا   مِـنْ أَهْـلِ طَيْبَـةَ كَمَـا قَـدْ ذُكِرَا

يذكر هنا بيعة العقبة الأولى، وسُمّيت بيعة العقبة لأنها كانت عند العقبة التي فيها جمرة العقبة في مِنَى، فعند جمرة العقبة كان النبي ﷺ في مواسم الحج يعرض نفسه على القبائل، يدعوهم إلى الإسلام.

فلقي أهل المدينة، كانوا جاءوا للحج فلقيهم النبي ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام فآمن به اثنا عشر من أهل المدينة، وبايعوا النبي ﷺ عند العقبة.

هنا الرواية عن ابن إسحاق قال: (فلمّا أراد الله إظهار دينه، وإعزاز نبيّه وإنجاز موعده له خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأمصار، فعَرَض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رَهْطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا)[١].

كان هؤلاء الاثنا عشر كانوا من الخزرج فآمنوا بالنبي ﷺ.

(وأنهم أجابوا رسول الله ﷺ، وآمنوا به، فلمّا قَدِموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دارٌ من دور الأمصار إلا وفيها ذِكْر من رسول الله ﷺ).

فبايعوا النبي ﷺ على بيعة النساء.

---

[١] سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٨).

وبيعة النساء هي التي جاء ذِكْرها في قول الله –تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾[الممتحنة:١٢].

معنى ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة:١٢] قال المفسرون: هي كل فِعْل مستبشع، يُتعاطَى باليد أو بالرِّجْل، من تناوُل ما لا يجوز، أو المشي إلى ما لا يجوز.

لذلك قالوا: منها المشي بالنميمة، والمشي ببريء إلى ذي سلطان، وقَذْف المحصنات، وقول الزور والبهتان.

ويدخل في ذلك: أن تنسب المرأة إلى زوجها مَنْ ليس من ولده، لكن فيه معاني عامة تشمل كل هذه الأمور.

فبايعهم النبي ﷺ على ذلك.

ثم قال:

٣٨- وَبَعْـدَ ثِنْتَـيْنِ وَخَمْسِـينَ أَتَى سَـبْعُونَ فِي الْمَوْسِـمِ هَـذَا ثَبَتَـا

أي: لَمّا كان سِن النبي ﷺ ثنتين وخمسين سنة في موسم الحج أيضًا حصلت بيعة العقبة الثانية، وكان فيها سبعون صحابيًّا كريمًا، وطلبوا من النبي ﷺ أن يهاجر إليهم، ووعدوه أن ينصروه وأن يحموه ﷺ، وأن يدفعوا عنه.

وبعث النبي ﷺ إليهم مصعب بن عمير رضي الله عنه يعملهم القرآن، ويعلمهم الدين،

وانتشر الإسلام في المدينة.

وبدأ الصحابة يهاجرون قبل النبي ﷺ بأمر النبي ﷺ، وتأخر النبي ﷺ، وأَخَّر أبا بكر حتى يكون رفيقه في الهجرة.

ثم قال:

٤٠- فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا إِذْ كَمَّلَ الثَّلَاثَ وَالْخَمْسِينَا

«فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا» الرضا: صفة لطيبة؛ لأنها دار رضيها الله للنبي ﷺ، ودار مَرْضِيّة.

«يَقِينَا» أي: هذا أَمْرٌ ثابتٌ مقطوع به.

«إِذْ كَمَّلَ الثَّلَاثَ وَالْخَمْسِينَا» أي: عندما كَمّل ﷺ الثلاث والخمسين.

لَمّا أراد النبي ﷺ أن يخرج للهجرة، أَمَر ليلة الهجرة أن يبيت علي في فراشه ﷺ.

وكانت قريش قد تشاوروا كيف يصنعون في النبي ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[الأنفال:٣٠].

ففريق منهم قالوا: نقتل النبي ﷺ، فقيل: لو قتلناه لا يلبث بنو هاشم وقومه أن يثأروا له وتأخذه الحمية، ويقتلوا مَنْ قتله.

فقيل: نحبسه، فقيل: مهما حبسناه ستحملهم الحمية على أن يذهبوا إليه، ويُخرجوه ولن يتركوه محبوسًا.

فقيل: نُخرِجه من البلد، فقيل: لو خرج سيتبعه ناس في بلد أخرى، ثم يرجع إليكم يقاتلكم ويحاربكم.

فبينما هم يتشاورون ماذا يصنعون، دخل عليهم إبليس في صورة شيخ من أهل نجد، كأنه مسافر وغريب، فقال: أشركوني معكم في الرأي.

فأشركوه معهم، فأشار عليهم أن يخرج من كل قبيلة رجل، وأن يشتركوا في قَتْله، فيتفرق دمه بين القبائل، ولا يستطيع قومه أن يثأروا من كل القبائل.

وكذلك إذا طلبوا الفدية أو الدية، فأيضًا تكون سهلة، تتفرّق، وكل عشيرة تدفع شيئًا من الدية، فتتفرق ديته بينهم، ويتشاركون فيها.

فباتوا عند النبي ﷺ، وخرج النبي ﷺ بأمر الله -تعالى-، وألقى الله عليهم النوم، فلم يُبصِروه.

وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه في شهر صفر، وذهبا إلى الغار.

وكانت قريش لَمّا علمت بخروجه، وضعوا جائزةً مائة من الإبل لِمَنْ يأتي بالنبي ﷺ، فذهب الناس يبحثون عن النبي ﷺ، حتى وصل بعضهم إلى الغار الذي كان فيه النبي ﷺ وصاحبه، قال أبو بكر: (لو نَظَرَ أحدهم عند قدميه لرآنا) فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تحزن، إن الله معنا**»[١] وأنزل الله -تعالى- الآيات الكريمة في شأن ذلك.

ثم قال:

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٤/ ٢٠١) رقم (٣٦١٥)، صحيح مسلم (٤/ ٢٣٠٩) رقم (٢٠٠٩).

٤١- فِي يَـوْمِ الِاثْنَـيْنِ وَدَامَ فِيهَـا عَـشْرَ سِـنِينَ كَمَلَـتْ نَحْكِيهَـا

«فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ»: أي: وصل إلى طيبة في يوم الاثنين ﷺ.

فكان خروجه من مكة يوم الاثنين، ووصوله إلى المدينة يوم الاثنين.

«وَدَامَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ» أي: بقي ﷺ في المدينة عشر سنين.

«كَمَلَتْ»، وفي بعض النُّسخ «كُمّلا» نفس المعنى.

«نَحْكِيهَا» أي: نرويها كما ثبتت في الرواية.

ثم قال:

٤٢- أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ مِـنْ بَعْدِ مَـا جَمَّعَ فَاسْـمَعْ خَبَرِي

«أَكْمَلَ فِي الْأُولَى» أي في السنة الأولى من الهجرة.

«صَلَاةَ الْحَضَرِ»، أي: من أبرز الأحداث التي وقعت في السنة الأولى: أنه زِيْد فيها بوحي من الله -تعالى- عدد ركعات الصلاة في الحضر.

لَمّا فُرِضت الصلوات يوم الإسراء والمعراج كانت كل صلاة ركعتين، فلمّا كانت السنة الأولى صارت الظهر أربعًا، وصارت العصر أربعًا، والعشاء أربعًا بوحي من الله سبحانه وتعالى.

ووَرَد ذلك في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى»[١]؛

[١] صحيح البخاري (٥/ ٦٨) رقم (٣٩٣٥).

أي: على ما كانت عليه من قبل.

وفي رواية أخرى قالت: «**فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ**»[١]، أي: أُقِرّت في السفر على ما كان عليه الأمر في الأصل، وزِيدت في الحضر.

«**مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ فَاسْمَعْ خَبَرِي**» أي: من بعد ما صلى النبي ﷺ الجمعة.

وصلاة الجمعة شُرِعت قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، لكن لم يكن النبي ﷺ قادرًا على صلاة الجمعة في مكة.

فالصحابة من الأنصار –رضي الله عنهم- صلوا الجمعة قبل أن وصول النبي ﷺ إلى المدينة في دار أسعد بن زُرارة رضي الله عنه.

فلمّا هاجر النبي ﷺ، ووَصل إلى قُباء؛ وذلك يوم الجمعة فكانت أول جمعة صلاها النبي ﷺ بالمدينة بعد هجرته ﷺ في قُباء.

ثم قال:

٤٣- **ثُـمَّ بَـنَى الْمَسْـجِدَ فِي قُبَـاءِ وَمَسْـجِدَ الْمَدِينَـةِ الْغَـرَّاءِ**

«**ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءِ**»: أي: بنى النبي ﷺ مسجد قُباء؛ وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾[التوبة:١٠٨] فهذه الآية الكريمة فيها تفسيران:

- قيل نزلت في مسجد قباء.

---

[١] صحيح مسلم (١/ ٤٧٨) رقم (٦٨٥).

- وقيل: نزلت في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام.

ولا تَعارُض في ذلك؛ فمسجد قباء والمسجد النبوي كل منهما مسجد أُسس على التقوى من أول يوم، وكل منهما مسجد أسسه رسول الله ﷺ.

فلمّا وصل النبي ﷺ إلى قباء، وكانت مساكن بني عمرو بن عوف، فأقام بها النبي ﷺ ليالي، اختُلِف في هذه الْمُدّة التي أقامها النبي ﷺ في قُباء، فقيل: من الاثنين إلى الجمعة، وقيل: بضع عشرة ليلة، وقيل: ثنتان وعشرون ليلة، والله تعالى أعلم.

ولا تعارُض بين الروايات التي فيها أن النبي ﷺ مَكَث في قُباء أيام قليلة ومع ذلك بنى فيها مسجدًا ﷺ؛ لأن بناء المساجد في ذلك الوقت مجرد تفريغ مكان له، ورَفْع سور رَفْعًا يسيرًا له حتى يصير مسجدًا، أي: ليس بالضرورة أن يحتاج بناء المسجد إلى مُدّة طويلة.

«وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ» أي: من أحداث السنة الأولى أيضًا: أن النبي ﷺ بنى المسجد النبوي الشريف، حيث سار بناقته، وكانوا يتنافسون، كل منهم يريد أن يظفر باستضافة رسول الله ﷺ في داره، فقال: «**دَعوها فإنها مأمورة**»، فسارت الناقة حتى بَرَكت في مِرْبدٍ[١] للتمر، كان لسهل وسُهيل غلامين يتيمين من بني النجار في حِجر أسعد بن زُرارة رضي الله عنه[٢].

فجعله النبي ﷺ مسجدًا، وشارك معهم ﷺ في بناء المسجد، فكان ينقل معهم

---

[١] والمربد: هو الموضع الْمُهيَّأ لتجفيف التمر؛ حيث يُبسَط فيه التمر ليُجَفَّف.

[٢] سنن سعيد بن منصور (٢/ ٤٠٠)، المعجم الأوسط (٤/ ٣٥).

اللَّبِن[١].

وكان يقول ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَهْ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ**»[٢].

والصحابة –رضي الله عنهم- كانوا يقولون:

لئن قَعَدْنا والنبي يَعْمَلُ ذاك إذًا للعَمَلُ المُضَلَّلُ

فكانوا يشاركون مع النبي ﷺ، في بناء المسجد النبوي الشريف.

ثم قال:

٤٤- ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَةْ

«**ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ**»: والمقصود هنا: مسكنًا لسودة، ومسكنًا لعائشة رضي الله عنهما؛ الزوجتان اللتان كانتا مع النبي ﷺ في ذلك الوقت، فبنى لهما النبي ﷺ مسكنين بجوار مسجده النبوي الشريف.

ثم بعد ذلك كلما تزوج النبي ﷺ امرأة أخرى من أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن وأرضاهن- بَنى لها مسكنًا في تلك المنطقة بجوار المسجد النبوي الشريف.

(وكانت حجرات النبي ﷺ مِن جَريدِ النَّخلِ مُغَشَّاة مِن خَارجٍ بِمُسُوح الشَّعْرِ).

أي: السقف عبارة عن جريد نخل، وفوقه مسوح من الشعر.

---

[١] اللَّبِن: الحجارة المصنوعة من الطين، والقَش؛ حيث يُجَفّف الطين حتى يصير لَبِنًا يُبنى به.

[٢] صحيح البخاري (٥/ ٦١).

(وعَرْضَ البَيتِ مِن بَاب الحُجرةِ إِلَى بَاب البيتِ نَحْوًا مِن سِتة أَو سبعة أَذرعٍ[١]، وَالبيتَ في الدَّاخِل نحو عَشَرَة أَذرعٍ، وارتفاع البيت ما بَين سبعة أذرع إلى ثمانية أذرع).

في اللغة: الحجرة أكبر من البيت، أي: الحجرة تشمل: السور الخارجي بكل ما يحويه، وتكون الحجرة في داخلها بيتًا أو بيوتًا، وهو عكس الاستعمال المعاصر؛ فالناس يجعلون البيت فيه حجرات، لكن في اللغة: الحجرة فيها بيوت.

لذلك -كما وَرَد في الحديث- «**صَلَاة المرأةِ في بَيْتها خيرٌ من صلاتها في حُجرتها، وصلاتها في حُجرتها خيرٌ من صلاتها في مسجد**»[٢].

ثم قال:

٤٤- .... ثُـمَّ أَتَى مِـنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّـنَةْ

٤٥- أَقَلُّ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا إِلَى بِـلَادِ الْحُبْـشِ حِـينَ هَاجَرُوا

أي: من أحداث السنة الأولى الهجرية: أنه لَمّا وصل الخبر إلى الحبشة أن النبي ﷺ هاجر إلى المدينة، فرجع أقل من نصف الذين كانوا هاجروا إلى الحبشة الهجرة الثانية؛ لأن أصحاب الهجرة الأولى رجعوا.

والهجرة الثانية ضَمّت بعض مَنْ كان في الهجرة الأولى، وزاد عليهم مَنْ انضم إليهم، فأصبح مجموع الذين هاجروا في الهجرة الثانية مائة؛ منهم اثنان وثمانون

---

[١] الذراع: يساوي ٤٦ سنتيمتر، أي: نصف متر تقريبًا، فيكون عرض البيت نحوًا من ٣ أو ٣,٥ أمتار، ومساحته الداخلية نحو ٥ أمتار، وارتفاعه ما بين ٣,٥ إلى ٤ أمتار.

[٢] سنن أبي داود (١/ ١٥٦).

رجلًا، وثماني عشرة امرأة.

والذين رجعوا من الحبشة ثم هاجروا إلى المدينة: ثلاثة وثلاثون رجلًا، وثماني نسوة، ومجموعهم واحد وأربعون، وهذا أقل من نصف المائة

ثم قال:

٤٦- وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

أي: من أحداث السنة الأولى أيضًا: أن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، فجمعهم النبي ﷺ في دار أنس بن مالك رضي الله عنه، وكانوا تسعين رجلًا؛ نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار.

فآخى بينهم على المواساة؛ أي: أن يواسي مَنْ معه مال مَنْ لا مال معه.

وأنهم يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام؛ أي: كانوا يتوارثون بهذه المؤاخاة دون أقاربهم، حتى غزوة بدر، فأنزل الله –تعالى-: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[الأحزاب:٦]؛ وأولو الأرحام في الآية تشمل كل قريب من أصحاب الفروض وأصحاب العصبات؛ فَرَدّ الله –تعالى- التوارث إلى الرحم دون عَقْد الأخوّة.

ومَدَحهم الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وهُم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:٩].

ومما وَرَد في هذا قصة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه المهاجري، وسعد بن الربيع

رضي الله عنه الأنصاري، فآخى النبي ﷺ بينهما، فقال سعد بن الربيع لعبد الرحمن: (إن لي زوجتين، انظر أيتهما أحبُّ إليك أُطَلِّقها حتى إذا انقضت عِدّتها تزوجتَها، وإن لي من المال كذا وكذا، أقسِم مالي بيني وبينك شطرين).

فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: (بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دُلّني على السوق).

وكان عبد الرحمن بن عوف رجلًا تاجرًا، لكن مشركو قريش منعوا المهاجرين من أَخْذ أموالهم معهم، فتركوا أموالهم لله سبحانه وتعالى.

فذهب إلى السوق، وعَمِل فيه، واتّجر، فرَبِح مالًا بعد أيام قليلة، وتزوج امرأة من الأنصار، وجَعَل صداقها وزن نواة من ذهب رضي الله عنه.

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كثير الصدقة وتكرر منه التصدق بشطر ماله، وكان كلما تصدق بشطر ماله يعوضه الله تعالى في فترة وجيزة أضعاف ما تصدق به.

قال الإمام الزهري: «تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله على عهد رسول الله ﷺ أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفا، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة»[١].

وممن هاجر إلى المدينة وترك ماله في مكة أيضًا صُهيب الرومي رضي الله عنه، وهو الذي نزل فيه قوله -تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ

---

[١] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٦٥، وأبو نعيم في الحلية ١ / ٩٩.

ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[البقرة:٢٠٧].

وذلك أنه لَمّا أراد أن يهاجر كانت له تجارة وأموال فأخفى أمواله، دفنها في الأرض، لعله يتمكن من تحصيلها بعد ذلك؛ لأنهم لا يتركونه يسافر بها، فأدركه المشركون وهو في طريق الهجرة، قبل أن يغادر، فقالوا: إنك أتيت إلى مكة فقيرًا لا مال لك، واغتنيت عندنا، لا نتركك تهاجر إلى محمد ﷺ حتى تدلنا على مالك.

فقال: إن دللتكم عليه تركتموني أهاجر إلى محمد ﷺ في المدينة؟ قالوا: نعم؛ فدلهم على أمواله، وهاجر في سبيل الله، فأنزل الله –تعالى– فيه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:٢٠٧] يشري: أي: يبيع نفسه لله ﷻ.

ثم قال:

٤٧- ثُـمَّ بَـنَى بِابْنَةِ خَـيْرِ صَحْبِهِ وَشَرَعَ الْأَذَانَ فَاقْتَـدِ بِـهِ

«ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ» أي: اختار الناظم هنا أن النبي ﷺ بنى بعائشة رضي الله عنها في السنة الأولى، لكن المشهور: أنه كان في السنة الثانية.

فبنى بِأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكانت قد بلغت تسع سنين –رضي الله عنها وأرضاها–، وأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه.

وقد وقع خلاف في المفاضلة بينها وبين أُم المؤمنين خديجة رضي الله عنها؛ لأن النبي ﷺ قال: «**فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»[١].

والثريد: هو الخبز مع اللحم.

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٥/ ٢٩) رقم (٣٧٧٠)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٩٥) رقم ((٢٤٤٦)).

لكن شيخ الإسلام رحمه الله له قول، يتوسط فيه، يقول: أُم المؤمنين خديجة رضي الله عنها هي أفضل باعتبار أول الإسلام، ومبدأ الإسلام، لِمَا كان لها من نُصرة النبي ﷺ وتثبيته ومواساته بالمال -رضي الله عنها وأرضاها- وعائشة رضي الله عنها باعتبار آخر الإسلام، فهي لها مزيتها من هذه الجهة، فهي التي نقلت إلى الأُمّة عِلْم النبي ﷺ، وكانت أفقه النساء، وكانت أحبّ النساء إلى رسول الله ﷺ.

وتوفي عنها النبي ﷺ وهي ابنة ثمان عشرة سنة، وعاشت بعده رضي الله عنها إلى سنة ثمان وخمسين للهجرة، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ودُفنت بالبقيع.

«وَشَرَعَ الْأَذَانَ»: أي: شَرَع النبي ﷺ الأذان في السنة الأولى أيضًا.

والذي حصل أنه في أول الأمر الصحابة -رضي الله عنهم- اشتكوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام أنهم لا يعرفون وقت الصلاة، فأشاروا على النبي ﷺ أن يتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وبعضهم قال: نتخذ بُوقًا مثل بوق اليهود، فأُمِر بلال رضي الله عنه في أول الأمر أن ينادي في الناس، فكان ينادي (الصلاة جامعة) قبل أن تُشرَع صيغة الأذان.

ثم رأى عبد الله بن زيد رضي الله عنه رؤيا، جاءه فيها الْملك وأَذّن، ثم تأخر قليلًا، ثم أقام، وقَصّ عبد الله بن زيد الرؤيا على النبي ﷺ، فقال له: «**أَلْقِها على بلال؛ فإنه أَندى منك صوتًا**»[١] فعلّمها لبلال، وصار بلال رضي الله عنه يؤذن بالأذان المعروف.

«فَاقْتَدِ بِهِ»: فِعْل أمر من الاقتداء، أي: اقتد بالنبي ﷺ الذي شَرَع الأذان.

بعض النُّسخ فيها: (فاقتدي به) فيها زيادة ياء للإطلاق، ولِمَطْل الحركة.

---

[١] سنن أبي داود (١/ ١٣٥).

ثم قال:

٤٨- وَغَـزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرْ هَـذَا وَفِي الثَّانِيَـةِ الْغَـزْوُ اشْـتَهَرْ

هنا يشير إلى غزوة الأبواء؛ وهي أول مغازي النبي ﷺ.

وعدد غزوات النبي ﷺ على المشهور: سبع وعشرون غزوة، خرج فيها النبي ﷺ بنفسه، وهذا ما ذَكَره ابن سعد والواقدي وابن إسحاق، وهُم أبرز أئمة السيرة وعلمائها، وسيأتي ذِكْر هذه الغزوات.

والغزوات: تُطلَق على المعارك التي شَهدها النبي ﷺ بنفسه.

وأما البعوث والسرايا التي كان يبعثها النبي ﷺ ولا يخرج فيها، فهذه كانت بضعة وسبعين بَعْثًا، أو بضعًا وسبعين سرية، بعثها النبي ﷺ ولم يخرج فيها.

أي: المجموع ما بين السرايا والغزوات التي خَرَج فيها بنفسه الشريفة ﷺ نحو مائة في مُدّة عشر سنين، أي: تقريبًا كل سنة عشرة، ما بين غزوات وسرايا.

فأول غزوةٍ من مغازي النبي ﷺ هي غزوة الأبواء، ويقال لها أيضًا: غزوة وَدّان، ووقعت في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة.

وسميت غزوة الأبواء نسبةً إلى منطقة الأبواء؛ وهي تبعد عن رابغ -التي على ساحل البحر قريبة من الجُحفة- حوالي ثلاثة وأربعين كيلو متر تقريبًا، وسمّيت وَدّان نسبة إلى قرية بجوار الأبواء، بينهما حوالي عشرة كيلو مترات.

والأبواء ووَدّان تُعرف اليوم باسم (الخُرَيبة).

سبب هذه الغزوة: كان الغرض من هذه الغزوة اعتراض قافلة لقريش؛ حيث

إنه بَلَغ النبي ﷺ أن عِيرًا[١] لقريش تمرّ في هذه المنطقة.

وكانت قريش قد سلبت أموال المسلمين، واضطروهم إلى تَرْك ديارهم، فكان النبي ﷺ يتعرض لتجارة قريش، كنوع من الحصار الاقتصادي عليهم، فصارت تجارتهم إلى الشام غير آمنة.

وكان لواء النبي ﷺ أبيض، وحامله هو حمزة رضي الله عنه فأفلتت القافلة، وتمكنت من الهرب قبل وصول النبي ﷺ إليه.

في بعض الغزوات كان المسلمون يغنمون منهم أموال كثيرة، وفي بعضها قد يتمكنون من الهرب والإفلات، لكن يصيبهم القلق والأذى.

ومنطقة الأبواء فيها بنو ضَمرة وبنو بكر، ولَمّا وصل النبي ﷺ إليها بعد هروب عِير قريش، أراد أن يفاوضهم ويُدخلهم في حِلْفه حتى لا يُعينوا مشركي قريش عليه، فعَقَد النبي ﷺ بينه وبينهم هدنة ومعاهدة وحِلْفًا، وكتب كتابًا بينه وبين بني ضمرة، وسيدهم اسمه مَخْشي بن عمرو، وفي بعض الروايات: مَجْدِي بن عمرو، وفيه: ألّا يغزو المسلمين، وألا يغزوهم المسلمون، وألّا يُكَثِّروا عليه جَمْعًا، ولا يُعينوا عليه عدوًّا،

فهذه المعاهدة من نتائج هذه الغزوة.

ثم قال:

٤٩- إِلَى بُـوَاطَ ثُـمَّ بَـدْرٍ وَوَجَبْ تَحَـوُّلُ الْقِبْلَـةِ فِي نِصْـفِ رَجَـبْ

---

[١] العير بكسر العين: هي القافلة التجارية التي فيها إبل وبضائع ونحوها.

«**بُوَاطَ**» ممكن تُضبَط (بواطَ، أو بواطٍ).

«**إِلَى بُوَاطَ**» أي: من غزوات السنة الثانية من الهجرة، غزوة بواط.

وكانت هذه الغزوة في شهر ربيع الأول من السنة الثانية من الهجرة، هذا المشهور، وقيل: في ربيع الآخر.

مكان هذه الغزوة: في وادي بواط؛ في منطقة فيها جبال يقال لها جبال رضوى، وهذه المنطقة قريبة من مدينة ينبع على ساحل البحر، وأكثر مغازي النبي ﷺ كانت في طريق الساحل.

سبب هذه الغزوة: اعتراض قافلة لقريش، كان في هذه القافلة أمية بن خلف؛ من أئمة الكفر، ومعه مائة رجل، ومعهم وألفان وخمسمائة بعير.

وخرج مع النبي ﷺ مائتا رجل، كلهم من المهاجرين -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

وكان حامل اللواء في هذه الغزوة: سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه وأرضاه-، وكان اللواء أبيض أيضًا.

فوصل النبي عليه الصلاة والسلام إلى بواط، وانتظر بها فلم يلقَ أحدًا، وأفلتت القافلة أيضًا؛ لأن المشركين كان لهم جواسيس، وكانوا يتتبعون، وتصل إليهم الأخبار أحيانًا، وربما سمعوا بخروج النبي ﷺ لمقابلتهم، فربما غيّروا الطريق، وربما أسرعوا في سَيْرِهم؛ فلم يحصل في هذه الغزوة قتال.

لكن حتى هذه الغزوات التي لم يقع فيها قتال كان يحصل فيها إرهاب أعداء

الله، وتخويفهم من المسلمين وتقويةً لهيبة المسلمين، فكان تحصل لها أغراض أخرى، وإن لم يحصل فيها القتال.

ونال المسلمون الأجر للنية؛ لأنهم خرجوا وفي نيتهم القتال في سبيل الله، ورجعوا سالمين، كُتِب لهم الأجر.

«إِلَى بُوَاطَ ثُمَّ بَدْرٍ»: المقصودة هنا غزوة بدرٍ الأولى، ولها اسم آخر؛ يقال لها غزوة سَفْوان.

و يوجد ثلاث غزوات من غزوات النبي ﷺ اسمها بدر:

- غزوة بدر الأولى.

- وغزوة بدر الكبرى؛ المعروفة، التي نزل فيها القرآن، سماها الله -تعالى- يوم الفُرقان، ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[الأنفال:٤١].

- وغزوة بدر الموعد.

وستأتينا هذه الغزوات الثلاث.

موعد غزوة بدر الأولى: كانت في شهر جمادى الأولى من السنة الثانية من الهجرة، وفي نفس الشهر وقعت غزوة العُشيرة.

الناظم هنا جَعَل بدر الأولى قبل العُشيرة، لكن الرأي المشهور عند أكثر علماء السِّيَر أن العُشيرة قبل بدر الأولى، وكلتاهما كانتا في نفس الشهر، وفي نفس السنة.

وسميت ببدر لأنها على طريق بدر، في وادي سفوان، ووادي سفوان هذا يبعد عن المدينة النبوية ثلاثة وسبعين كيلومترًا بالمقاييس العصرية.

خرج النبي ﷺ في هذه الغزوة ومعه عدد قليل من الصحابة يطلب رجلًا يقال له كُرْز بن جابر الفهري، وكان قد أغار على إبلٍ للمسلمين ترعى في المدينة، ونَهَب عددًا منها وأخذها معه، لكن لم يُدركه النبي ﷺ.

وكان حامل اللواء في هذه الغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان اللواء أبيض كذلك.

وبعد ذلك كُرز بن جابر الفهري أسلم، وصار صحابيًّا كريمًا رضي الله عنه.

« **تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبْ**» أي: في نصف شهر رجب في السنة الثانية من الهجرة، تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

أي: القِبلة الأولى كانت -كما وَرَد في الأحاديث والآثار- صخرة بيت المقدس، التي عليها القبة الآن، فهذه الصخرة كانت قِبلة الأنبياء السابقين، وكانت قِبلة المسلمين ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا بعد فَرْض الصلاة،

والنبي عليه الصلاة والسلام لما كان في مكة كان يحب أن يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس وهو يصلي، فلما وصل إلى المدينة لم يعد بإمكانه أن يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس؛ لأن المدينة في المنتصف، ومكة تصير في الجنوب، وبيت المقدس في الشّمال، فإذا استقبل بيت المقدس يكون مُستدبرًا الكعبة، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يتمنى أن تُحَوّل القِبلة فاستجاب الله تعالى رجاءه، وقال: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾[البقرة:١٤٤].

٥٠- مِنْ بَعْدِ ذَا الْعُشَـيْرُ يَا إِخْوَانِي وَفَـرْضُ شَـهْرِ الصَّوْمِ فِي شَـعْبَانِ

«مِنْ بَعْدِ ذَا الْعُشَيْرُ يَا إِخْوَانِي» يقول: بعد هذا غزوة العُشير، ويقال لها أيضًا: غزوة العُشيرة أو العُشيراء أو العُسيرة.

«مِنْ بَعْدِ ذَا» ظاهر عبارة الناظم أن غزوة العُشير بعد تحويل القِبلة، لكن الصواب: أنها كانت في جمادى الأولى قبل تحويل القِبلة في رجب.

المكان الذي وقعت فيه غزوة العُشيرة يبعد عن ينبع حوالي أربعين كيلومترًا، أي: قريبة من المكان الذي وقعت فيه غزوة بدر الأولى.

وسمع النبي ﷺ بقافلة لأبي سفيان ذاهبة إلى الشام، وليست في طريق الرجوع، وأنها تمر في العُشيرة.

فالنبي ﷺ كان أيضًا له عيون يتحسسون الأخبار، وينقلونها إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

فخرج النبي ﷺ للقاء هذه القافلة، وكان معه من الصحابة: مائة وخمسون صحابيًّا، معهم ثلاثون بعيرًا، يعتِقبونها -أي: يتناوبون على ركوبها-، وكان اللواء أبيض أيضًا، وحامله هو حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

ووصل النبي ﷺ إلى منطقة العُشيرة، فأفلتت القافلة أيضًا ولم يُدركها النبي ﷺ، ولكن النبي مَكَث في تلك المنطقة فعاهد بني مدلج، على نفس ما عاهد عليه حلفاءهم من بني ضمرة؛ أي: أنهم لا يغزون المسلمين، ولا يُعينون على المسلمين، والمسلمون لا يغزونهم.

«وَفَرْضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانِ» ومن أحداث السنة الثانية من الهجرة أنه في

شهر شعبان فَرَض الله -تعالى- صيام رمضان، أي: قُبيل دخول شهر رمضان، وكان أول رمضان صامه المسلمون في السنة الثانية من الهجرة.

ثم قال:

٥١- وَالْغَـزْوَةِ الْكُـبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ فِي الصَّوْمِ فِي سَـابِعِ عَشْرِ الشَّـهْرِ

«فِي الصَّوْمِ» أي: في شهر رمضان، كانت غزوة بدر الكبرى، التي سماها الله ﷻ في كتابه الكريم (يوم الفرقان)؛ وكانت صبيحة يوم الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة.

ومكان الغزوة: منطقة بدر، وهي حاليًا تُعرف بمدينة بدر، تبعد حوالي (١٥٥) كيلو متر عن المدينة المنورة.

وسبب الغزوة: لقاء عير قريش التي مع أبي سفيان الراجعة من الشام، وهي نفس العير التي أفلتت في العُشيرة، فالنبي ﷺ ذهب للقائه في بدر.

وكانت هذه العِير (القافلة) فيها أموال قريش، فأرسل أبو سفيان إلى قريش في مكة، أن النبي ﷺ وأصحابه يلاحقونهم ويريد أن يهرب بالتجارة التي معه، كما قال الله -تعالى- في كتابه: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[الأنفال:٧] أي: إما أن يلقوا عير قريش ويدركوها ويرجعوا بالأموال، وإما أن يحصل مواجهة بينهم وبين مشركي قريش؛ لأن أهل مكة سمعوا أن النبي عليه -الصلاة والسلام- يطارد العير، وكان فيها تجارة كبيرة لقريش، فبعثوا جيشًا لقتال المسلمين.

عدد الصحابة -رضي الله عنهم-: كانوا ثلاثمائة وأربعة عشر صحابيًّا.

وعدد المشركين: كانوا تسعمائة وخمسين.

وعرف المسلمون ذلك لَمّا سألوا غلامًا للمشركين: (كم تنحرون من الإبل؟) قال: (يوم تسعة، ويوم عشرة)، والبعير يكفي مائة رجل، فعرفوا أنهم ما بين التسعمائة والألف، وكان عددهم تسعمائة وخمسين.

وكان اللواء العام للجيش أبيض أيضًا يحمله مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان هناك راية سوداء للمهاجرين يحملها علي بن أبي طالب، وراية سوداء للأنصار يحملها سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونجا أبو سفيان بالقافلة، وأبت قريش إلا القتال، ووقعت المعركة، واستُشهد من الصحابة -رضي الله عنهم- أربعة عشر صحابيًّا، والمشركون قُتل منهم سبعون وأُسر سبعون، وانكسرت فيها هيبة قريش، وقُتِلَ فيها ساداتهم وكبراؤهم، وغَنِم المسلمون في هذه الغزوة غنائم عظيمة كبيرة، ورجع النبي منتصرًا ظافرًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قال:

٥٢- وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ

«مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ» أي: غزوة بدر كانت يوم (١٧)، وبعدها بعشرة أيام أي: يوم سبعة وعشرين من رمضان فَرَض الله -تعالى- زكاة الفطر، حيث وَرَد أن فرضها كان قبل ختام الشهر بليلتين أو ثلاث، فخَطَب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس قبل الفطر بيوم أو يومين وأَمَرهم أن يُخرِجوا زكاة فِطْرهم.

ثم قال:

٥٣- وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَادْرِ وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ
٥٤- رُقَيَّةٌ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفْرِ زَوْجَةُ عُثْمَانَ، وعُرْسُ الطُّهْرِ
٥٥- فَاطِمَةٍ عَلَى عَلِيِّ الْقَدْرِ وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الأَسْرِ

«وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ» أي: زكاة الفطر عرفنا أنها فُرِضَت في السنة الثانية، وتحديدًا يوم سبعة وعشرين رمضان، أو قبل عيد الفطر بيومين أو ثلاثة، لكن اختلف أهل العلم في زكاة المال هل فُرضت في السنة الثانية من الهجرة أيضًا أم لا؟ وذكر كثير من أهل العلم أنها فُرِضت في السنة الثانية أيضًا.

«فَادْرِ» أي: فاعلم ذلك.

«وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ»: البَرُّ أي: ذو الْبِرِّ، ﷺ، والْبِرُّ: كلمة جامعة لكل خصال الخير.

« رُقَيَّةٌ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفْرِ»: السَّفْر: (بإسكان الفاء) أي: المسافرون، أي: توفيت رقية رضي الله عنها في أثناء رجوع النبي ﷺ وأصحابه من غزوة بدر.

ورقية هي زوجة عثمان رضي الله عنه، وبعد وفاتها تزوج أم كلثوم -رضي الله عنها- كما سبق.

«وعُرْسُ»: أي: وزواج.

«الطُّهْرِ»: أي: المرأة الطاهرة العفيفة، والطهر هنا يشمل طهارة الأخلاق وكمال الصفات.

«فَاطِمَةٍ»: أي: زواج فاطمة الطاهرة الكريمة -رضي الله عنها وأرضاها-، عُرسها «عَلَى عَلِيِّ الْقَدْرِ» يقصد علي بن أبي طالب ﷺ، وهو علي القدر، أي: (علي) هو اسمه، وهو أيضًا نعت له، فهو ذو قدرٍ عالٍ كريم.

فكان زواجه بها بعد غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة أيضًا.

وجاء في الصحيحين[١] أن عليًّا ﷺ قال: (كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ) أي: كانت له ناقة كانت من نصيبه في غنائم بدر. (وَكَانَ النبي ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ يَرْتَحِلُ مَعِيَ، فَنَأْتِي بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ، فَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي).

«وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الأَسْرِ» أي: كان ممَّنْ أُسِر في غزوة بدر: العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.

فالناظم هنا يقول: أنه أسلم بعد أَسْره في غزوة بدر في العام الثاني من الهجرة.

وجاء في مسند أحمد[٢] أن العباس قال: (إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي) أي: كان يكتم إسلامه، وجاء مع جيش المشركين في بدر مُكرهًا، ولكنه لم يشارك في القتال.

ثم قال:

---

[١] صحيح البخاري (٣/ ٦٠) رقم (٢٠٨٩)، صحيح مسلم (٣/ ١٥٦٨) رقم (١٩٧٩).

[٢] مسند أحمد (٥/ ٣٣٤) رقم (٣٣١٠).

٥٦- وَقَيْنُقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الْإِثْرِ بَعْدَ ضَحَاءِ يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ

أي: غزوة بني قينقاع -على ما ذكره المؤلف- كانت في ضحى يوم عيد النحر في شهر ذي الحجة من السنة الثانية، لكن المشهور في كُتب السِّيَر أنها كانت في منتصف شهر شوال من السنة الثانية.

مكان الغزوة: في مساكن بني قينقاع، في عوالي المدينة.

وسبب هذه الغزوة: أنهم غدروا بالمسلمين؛ حيث كان النبي ﷺ لَمّا هاجر إلى المدينة، أَبرم عهدًا مع اليهود أنهم يُسالمون المسلمين، ولا يغدرون بالمسلمين، ولا يُعينون أعداء المسلمين عليهم، وفي مقابل ذلك المسلمون يُؤمّنونهم في أموالهم ودمائهم، وكان اليهود في المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

فحصل أن امرأة من المسلمين ذهبت تبتاع في سوق بني قينقاع، فكانت هذه المرأة المسلمة جالسة، فطلبوا منها أن تكشف وجهها، فلم تفعل، فجاء رجل من اليهود من خلفها، وأخذ طرف ثوبها ووضعه بشوكة، وهي لا تشعر، فلما قامت المرأة انكشف شيء من عورتها فجعلوا يضحكون منها، فصاحت المرأة، فسمعها رجل من المسلمين، فذهب إلى اليهودي فقتله، فاجتمع اليهود على المسلم فقتلوه.

فخرج النبي ﷺ ومعه جَمْع كبير من الصحابة من المهاجرين والأنصار، فحاصر ديار بني قينقاع خمسة عشر يومًا في حصونهم حتى نزلوا على حُكمه ﷺ، وخرجوا مُكَتّفين ومُقَيّدين، فأَمر النبي ﷺ أن تُقتل مُقاتلتهم.

فأخذ عبد الله بن أُبَي بن سلول رأس المنافقين، يشفع فيهم عند النبي ﷺ، فقال: (هؤلاء حلفائي)، فأراد النبي ﷺ أن يتألّفه، فقبل شفاعته أنه لا يقتلهم، ولكن يُجلوا من المدينة ولا يبقى منهم أحد، فخرجوا من المدينة، وكان عدد يهود بني قينقاع سبعمائة نَفس، فخرجوا.

ثم قال:

٥٧- وَغَـزْوَةُ السَّـوِيقِ ثُـمَّ قَرْقَرَهْ وَالْغَـزْوُ فِي الثَّالِثَـةِ الْمُشْـتَهِرَهْ

غزوة السويق -على كلام المؤلف- كانت في السنة الثالثة، والمشهور في كُتب السيرة أنها كانت في ذي الحجة من السنة الثانية، أي: إما في آخر الثانية، أو في أول الثالثة.

وسبب هذه الغزوة: أن أبا سفيان بعد أن انهزم المشركون في غزوة بدر الكبرى آلت زعامة قريش إليه، فنذر ألا يغسل رأسه حتى ينتقم لِمَا وقع لهم في غزوة بدر.

فتجهز مع مائتي فرس، وأتوا إلى المدينة من جهة الشرق، فنزل عند سَلّام بن مِشكم من زعماء اليهود، فسقاه وأطعمه، وبعث له مَنْ يستطلع الأخبار.

فلمّا أصبح حَرَق نخلًا من نخل المدينة، وقَتَل رجلًا من الأنصار وحليفًا لهم، ثم فَرّ هاربًا.

فلمّا وصل الخبر إلى النبي ﷺ استخلف على المدينة أبو لبابة رضي الله عنه، وخرج لملاحقته، ومعه مائتا رجل من المهاجرين والأنصار.

ولَمّا بلغ أبو سفيان أن النبي ﷺ وأصحابه يُلاحقونهم، جعلوا يتخففون من

الحمولة التي معهم، وكانوا يحملون معهم سَويقًا[١] كثيرًا، فكلما شعروا باقتراب جيش المسلمين يُلقون ما معهم من السويق.

فوصل النبي ﷺ إلى منطقة يقال لها: قرقرة الكُدْر، فوجد أبا سفيان قد هرب، ولكن حمل المسلمون معهم حمولة كبيرة من السويق الذي تركوه وراءهم؛ فلذلك سُمّيت غزوة السويق.

ويقال لها أيضًا: غزوة قرقرة الكُدْر؛ لأنها وصل فيها النبي ﷺ إلى منطقة قرقرة الكدر، وأخذوا السويق معهم ورجعوا.

فالصواب: أن غزوة السويق هي نفسها غزوة قرقرة الكُدْر، في رأي كثير من علماء السِّيَر.

لكن بعض علماء السِّيَر جعلوهما غزوتين منفصلتين، واحدة خرج فيها النبي ﷺ لملاحقة عِير لقريش حتى بَلَغ قرقرة الكُدر ورجع، والأخرى غزوة السويق، ومنهم المؤلف حيث قال: «وَغَزْوَةُ السَّوِيقِ ثُمَّ قَرْقَرَةْ»

لكن الصواب ما عليه جمهور علماء السير أنهما غزوة واحدة.

لكن لو جعلنا غزوة قرقرة الكدر غزوة مستقلة تصير ثمانيًا وعشرين غزوة، وبدون غزوة قرقرة الكدر فهي سبع وعشرون.

ثم قال:

٥٨- فِي غَطَفَانَ وَبَنِي سُلَيْمِ وَأُمُّ كُلْثُومَ ابْنَةُ الْكَرِيمِ

[١] السويق: دقيق م قمح أو شعير مُحَمّص في سمن.

٥٩- زَوَّجَ عُثْمَانَ بِهَا وَخَصَّهْ ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ حَفْصَةْ

«فِي غَطَفَانَ وَبَنِي سُلَيْمِ» أي: هناك غزوتان: غزوة بني سُليم، وغزوة غطفان.

بالنسبة لغزوة بني سُليم: فهي اسم آخر لغزوة الكدر، لِمَنْ عَدّها غزوة مستقلة.

فهذه الغزوة خرج فيها النبي ﷺ مع مائتين من المهاجرين والأنصار، وكان له لواء أبيض يحمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ووصل إلى ديار بني سُليم في قرقرة الكدر، وهو يبعد عن المدينة ثمانين كيلومترًا، ورجع النبي ﷺ.

وقيل: إن هذه الغزوة كانت لأنه بَلَغ النبي ﷺ أن بني سُليم وقبائل من غَطفان حشدوا لقتال النبي ﷺ في المدينة.

بالنسبة لغزوة غَطَفان: ويقال لها أيضًا غزوة أنمار، ويقال لها غزوة ذي أَمَر.

فهذه الغزوة وقعت في الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الثالثة من الهجرة، حيث سمع النبي ﷺ أن جمعًا من بني ثعلبة وبني مُحارِب تَجمعوا بموضعٍ يقال له: ذي أَمر، جهة نجد، يريدون الإغارة على المدينة، فخرج ومعه أربعمائة وخمسون صحابيًّا، فوصل إلى هناك، ومكث النبي ﷺ في تلك المنطقة، وهو موضع يبعد عن المدينة (١٣٠) كيلومترًا في اتجاه الرياض، وليس في طريق البحر مثل الغزوات السابقة.

وكان قائد المشركين اسمه دُعثور بن الحارث المحاربي الغطفاني؛ لأن بني محارب هم جزء من غَطفان، فلمّا سمعوا بمجيء النبي ﷺ هربوا وتفرقوا في رؤوس الجبال، فمكث النبي ﷺ في ساحتهم ولم يلق أحدًا، ورجع ﷺ بغير قتال

وقد نُصر بالرعب.

« وَأُمُّ كُلْثُومَ ابْنَةُ الْكَرِيمِ» أي: ابنة النبي ﷺ.

يقول هنا: النبي ﷺ زَوّج ابنته أم كلثوم رضي الله عنها لعثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لأن زوجة عثمان الأولى (رُقَيّة) كانت قد توفيت رضي الله عنها في أيام غزوة بدر.

«وَخَصَّهْ» أي: خصّ عثمان بأنه تزوج ابنتي نبي واحدة تلو الأخرى، وهذا لم يشاركه فيه أحد من العالمين، فهي خصيصة لعثمان لم يشركه فيها أحد.

وكلٌّ من رقية وأم كلثوم –رضي الله عنهما– كانا قد خطبهما في الجاهلية، وقيل: عَقَد عليهما في الجاهلية عُتبة وعتيبة ابني أبي لهب، ثم طلقاهما أو فَسَخا الخطبة.

«ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ حَفْصَةْ» أي: تزوج النبي ﷺ حفصة بنت عمر –رضي الله عنهما– في السنة الثالثة، وتوفيت رضي الله عنها عام خمسٍ وأربعين للهجرة.

وعندما تزوجها النبي ﷺ كانت تبلغ من العمر عشرين عامًا، وكانت متزوجةً قبل النبي ﷺ خُنيس بن حُذافة السهمي رضي الله عنه، وهو صحابي كريم شهد بدرًا، وتوفي رضي الله عنه فتأيّمت حفصة من زوجها، وذهب عمر رضي الله عنه إلى عثمان وقال: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فقال له: سأنظر في الأمر، قال: فلبثت ليالي، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

ثم ذهب إلى أبي بكر، فقال: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر، قال: فلم يرجع إليّ شيئًا، قال عمر: فكنت عليه أوجد منّي على عثمان؛ لأن عثمان كان صريحًا معه وقال له: لا أريد الزواج، لكن أبو بكر تركه مُعلّقًا.

قال: (فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك؟ قال: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أنني قد علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لقَبِلتها)[١].

ومما يُذكر في سيرتها -رضي الله عنها وأرضاها- أن النبي ﷺ طَلّقها مرةً فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد! إن الله يأمرك أن تُراجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة، وهي زوجتك في الجنة، فراجعها رسول الله ﷺ[٢].

ومن فضائلها: أنّ أبا بكر رضي الله عنه لَمّا جَمَع الصحف التي كُتب فيها القرآن فكانت عنده، ثم كانت عند عمر بعده، ثم كانت عند حفصة، وعثمان أخذ الصحف من حفصة ونسخها في المصاحف.

ثم قال:

٦٠- وَزَيْنَبًا ثُمَّ غَزَا إِلَى أُحُدْ ... فِي شَهْرِ شَوَّالٍ وَحَمْرَاءِ الْأَسَدْ

«وَزَيْنَبًا» يذكر هنا قصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت خزيمة -رضي الله عنها وأرضاها- في السنة الثالثة، وكانت من المهاجرات، وكانت تُلَقّب بأُم المساكين لكثرة معروفها، وكانت عند عبد الله بن جحش، فقُتل يوم أُحد في شوال من السنة الثالثة، فكان زواج النبي ﷺ لها بعد مقتل زوجها وأصدقها أربعمائة درهم.

وكان دخوله بها ﷺ بعد دخوله على حفصة، فلم تلبث عند النبي ﷺ إلا

[١] صحيح البخاري (٥/ ٨٣) رقم (٤٠٠٥).

[٢] المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ١٦) رقم (٦٧٥٣).

شهرين أو ثلاثة، ثم توفيت ﵂ وصلى عليها النبي ﷺ، ودُفنت في البقيع.

«ثُمَّ غَزَا إِلَى أُحُدْ» هنا جعل زواج النبي ﷺ بزينب قبل أُحد، لكن الصواب أن زواج زينب بعد أُحد؛ لأن زوجها السابق استُشهد في أُحد.

«ثُمَّ غَزَا إِلَى أُحُدْ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ» أي: غزوة أُحد كانت في شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة.

سبب هذه الغزوة: رَدّ عدوان قريشٍ، حيث جاء أبو سفيان ومعه جيشٌ كبير من قريش، ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم مائتا فرس، يريد قتال النبي ﷺ والمسلمين في المدينة؛ ليثأر لهزيمتهم في بدر.

فاستشار النبي ﷺ أصحابه: هل يقاتلون داخل المدينة، أم يخرجون لملاقاتهم..

فكان رأي النبي ﷺ أن يقاتلوا داخل المدينة، من فوق أسطح البيوت، ووافقه الشيوخ، وأما الشباب فكانوا يريدون الخروج للقتال خارج المدينة، وكانوا أكثر عددًا فنزل النبي ﷺ على مشورتهم، وبعد أن نزل على مشورتهم، قالوا: لعلنا أكرهنا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! افعل ما شئت، فقال: «**مَا كَانَ لِنَبِي إِذَا لَبِسَ لَأْمَةَ الْحَربِ أَنْ يَنْزِعها حَتى يَقْضي الله بينه وبين عدوه**»[١].

فخرج ﷺ ومعه ألف رجل من المسلمين ألفًا، وجيش المشركين كانوا ثلاثة آلاف.

وممَّنْ خرج مع النبي ﷺ ثلاثمائة رجل زعيمهم عبد الله بن أُبَي بن سلول المنافق.

[١] السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٦٥).

فلما خرجوا ومشوا قليلًا، رجعوا، بزعم أن الرأي الصواب أن يمكثوا في المدينة، مثلما كان النبي ﷺ يرى، لكنهم أرادوا تخذيل المسلمين.

فبقي سبعمائة مقاتل مع النبي ﷺ.

ووقعت المعركة، وكان حامل اللواء مصعب بن عُمير -رضي الله عنه وأرضاه-، ثم استُشهد رضي الله عنه، فحَمَل اللواء بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

في أول المعركة انتصر المسلمون، وكان النبي ﷺ جَعَل خمسين راميًا، وقائدهم عبد الله بن جُبير -رضي الله عنه وأرضاه-، جعلهم فوق جبل صغير بجوار أُحد، يقال له: جبل الرماة، فأمرهم النبي ﷺ ألا ينزلوا من الجبل مهما حصل حتى يأمرهم النبي ﷺ أن ينزلوا، لكنهم عصوا أَمْر النبي ﷺ لَمّا حصل انتصار المسلمين في أول المعركة، وبدأ بعض الناس يجمعون الغنائم، فنزل أكثر الرماة من الجبل فاستدار المشركون؛ لأن وجود الرماة هو الذي كان يمنع المشركين؛ لأنهم أمطروا المشركين بسهامهم، فلمّا وجد المشركون أن المكان خالٍ استداروا من وراء الجبل، وقاتلوا المسلمين، فقُتل من المسلمين سبعون شهيدًا -رضي الله عنهم وأرضاهم-، لكن لم يُؤسَر أحد من المسلمين، ولهذا قال -تعالى-: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ وهي مقتل سبعين شهيدًا. ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [آل عمران:١٦٥] أي: أنتم في غزوة بدر قتلتم سبعين وأَسَرْتم سبعين.

وفي غزوة أُحد قُتِل من المشركين اثنان وعشرون قتيلًا.

من شهداء المسلمين في غزوة أُحد: مصعب بن عمير، وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما.

«وَحَمْرَاءِ الْأَسَدْ» أي: من مغازي النبي ﷺ غزوة حمراء الأسد، وكانت في اليوم التالي لغزوة أُحد، أي: يوم الأحد السادس عشر من شوال من العام الثالث للهجرة.

وحمراء الأسد جبل أحمر يبعد عن المدينة نحو عشرين كيلوا متراً.

وسبب الغزوة: أنه وصل إلى المسلمين أن أبا سفيان رجع مرة أخرى للقتال، بعدما انتهت معركة أُحد، ويريد مهاجمة المدينة.

فخرج النبي ﷺ لقتالهم، ومعه كل مَنْ قاتل في أُحد من المسلمين ما عدا الذين استُشهدوا، وأهل كانوا سبعمائة، استُشهد منهم سبعون، وبقي ستمائة وثلاثون، خرجوا مع النبي ﷺ حتى وصلوا إلى حمراء الأسد.

وكان جيش المشركين في أحد ثلاثة آلاف، قُتل منهم اثنين وعشرين وتبقى ألفان وتسعمائة وثمانية وسبعون مع أبي سفيان، ولَمّا أراد مهاجمة المسلمين مرة أخرى خَذّله معبد بن أبي معبد الخزاعي وقال له: إن النبي ﷺ أعدّ عُدّة لقتالك، فتراجع أبو سفيان ورَجع إلى مكة.

فلما وصل النبي ﷺ إلى حمراء الأسد لم يلق كيدًا، ورجع ﷺ سالِمًا غانمًا، ونزل فيها قول الله –تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤] لأن هذا المكان فيه سوق، وكان الصحابة أخذوا معهم بعض الأزواد والطعام، فباعوه هناك، وربحوا فيه رِبحًا كثيرًا، ورجعوا رابحين وازدادوا خيرًا، ولم

يمسسهم سوء.

ثم قال:

٦١- فَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعَنْ هَـذَا وَفِيهَا وُلِدَ السِّـبْطُ الْحَسَـنْ

أي: في السنة الثالثة حُرّمت الخمر؛ وهذا أحد القولين، والقول الآخر: أنها حُرّمت في السنة الرابعة.

«فَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا»، أي: تحريم الخمر تحريمًا جازمًا؛ لأنه قبل ذلك كانت الآيات فيها إشارة لذَمّ للخمر لكن من غير بيان واضح، فكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (اللهم بَيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا) فحُرّمت التحريم اليقيني في السنة الثالثة.

«فَاسْمَعَنْ هَذَا» السماع بمعنى القبول والاستجابة.

« وَفِيهَا وُلِدَ السِّبْطُ»: وهو ابن البنت، أي: في السنة الثالثة وُلد الحسن بن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وهو ابن فاطمة بنت النبي ﷺ، فوُلِد في منتصف شهر رمضان في السنة الثالثة من الهجرة.

ثم قال:

٦٢- وَكَانَ فِي الرَّابِعَـةِ الْغَـزْوُ إِلى بَـنِي النَّضِـيرِ فِي رَبِيـعٍ أَوَّلا

أي: كان في السنة الرابعة من الهجرة في شهر ربيعٍ الأول منها وقعت غزوة بني النضير.

وبنو النضير إحدى قبائل اليهود الثلاث التي كانت في المدينة، ومساكنهم في المدينة بجوار مسجد قباء.

سبب غزوة بني النضير: أنهم نَقضوا العهد مع رسول الله ﷺ، وحاولوا قَتْله، فنَجّاه الله -تعالى- من كيدهم.

سبب ذلك: أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ قَتَل رجلين معاهديْن، وكان لا يعلم بالعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**لَأَدِيّنهما**»[١] أي: تعهد النبي ﷺ بدَفْع الدية.

وكان من ضمن الاتفاق مع اليهود أنهم يعاونون المسلمين في أَمْر الديات، فذهب النبي ﷺ إلى بني النضير ليطلب منهم المعاونة في دَفْع دية القتيلين.

فكان جالسًا ﷺ في ظِلّ أحد بيوتهم، فصعد أشقاهم، وهو رجلٌ من اليهود اسمه عمرو بن جُحاش -لعنه الله-، فصعد فوق البيت وأراد أن يلقي رَحًى من فوق البيت على النبي ﷺ وهو جالس مستند إلى جدار البيت.

فجاء جبريل -عليه السلام-، وأخبر النبي ﷺ بذلك فقام النبي ﷺ من مكانه، ولم يُصبه أذى[٢].

فرجع النبي ﷺ إلى المدينة، وخرج بأصحابه -رضي الله عنهم، فخرج معه المهاجرون والأنصار، وحاصروا ديار بني النضير، وبعد ست ليالٍ من الحصار سألوا النبي ﷺ أن يصالحهم وأن يغادروا المدينة بدون أن يقتلهم النبي ﷺ على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح، فسمح لهم النبي ﷺ أن يُحَمِّل كل واحد بعيره بما يستطيع أن يحمله من المتاع، لكن ليس لهم أن يحملوا معهم

[١] المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٣٥٨).

[٢] السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٤٦).

السلاح، فجعلوا يُخَرِّبون بيوتهم بأيديهم، ليأخذوا عتبة الباب، أو الخشبة التي فوق سطح الباب معهم.

وأنزل الله ﷻ في شأنهم سورة الحشر، ويقال لها أيضًا (سورة بني النضير).

ثم قال:

٦٣- وبَعْدُ مَـوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةْ وَبَعْـدَهُ نِكَـاحُ أُمِّ سَـلَمَةْ

٦٤- وَبِنْتِ جَحْشٍ ثُمَّ بَدْرِ الْمَوْعِدِ وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْـمَعْ وَاعْدُدِ

«**وبَعْدُ**» أي: وبعد بني النضير.

«**مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةْ**»: أي: زينب التي تَقَدّم ذِكْرها في النَّظم، وهي أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية التي يقال لها: أم المساكين –رضي الله عنها وأرضاها–، مَكَثت مع النبي ﷺ نحو ثلاثة أشهر، ثم توفيت ودُفِنت في البقيع –رضي الله عنها وأرضاها–.

وبعدها كان نكاح أم المؤمنين أُم سلمة –رضي الله عنها وأرضاها–، وهي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، تزوجها النبي ﷺ في شهر شوال، من السنة الرابعة، وتوفيت سنة ثمان وخمسين من الهجرة –رضي الله عنها وأرضاها–.

وهي بنت عم خالد بن الوليد، وبنت عم أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي.

وعن أنس رضي الله عنه قال: لَمّا حضرت أبا سلمة الوفاة، قالت أم سلمة رضي الله عنها: إلى مَنْ تكلني؟ فقال: اللهم إنك لأُم سلَمة خيرٌ من أبي سلمة.

فلمّا توفي زوجها أبو سلمة كانت قد سمعت النبي ﷺ قبل ذلك يقول: «**مَا مِنْ**

مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»[١].

فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ دَعَت بهذا الدعاء، وقالت: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟

أي: هي تدعو مُوقنةً ومُصَدِّقةً بأَمْر الله –تعالى- لكن تتعجب في نفسها كيف يكون لها زوج خير من أبي سَلمة وهو من خيار الصحابة وأفاضلهم.

لكن لَمّا دعت بهذا الدعاء إذا بها قالت: (فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ).

فخَطبها النبي ﷺ، وعندما توفيت رضي الله عنها سنة ثمانٍ وخمسين للهجرة كان عمرها نحو تسعين سنة.

«وَبِنْتِ جَحْشٍ» أي: كذلك من أحداث السنة الرابعة: زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش بن رئابٍ الأسدية –رضي الله عنها وأرضاها-، وهي بنت عمة رسول الله ﷺ، فأمها: أميمة بنت عبد المطلب.

وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها من المهاجرات الأُوَل.

وكانت مُزَوّجةً قبل النبي ﷺ بزيد بن حارثة الذي كان النبي ﷺ تبنّاه في الجاهلية، وكان يُدعى زيد بن محمد حتى نَزَل تحريم التّبني.

وكان الزواج بزوجة الابن ولو بالتبني من الأشياء العظيمة المنكرة عند العرب، ولكن الله ﷻ أراد أن يُبطِل عادة التبني، وإعطاء الابن المتبنَى الذي ليس من نَسَب

---

[١] صحيح مسلم (٢/ ٦٣١) رقم (٩١٨).

الإنسان أحكام الابن لصُلبه.

فأمَر الله -تعالى- النبي ﷺ أن يتزوج بها، بقوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِى فِى نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَىۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِىٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ [الأحزاب:٣٧].

فزوجها الله -تعالى- بقوله: =﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ فصارت زوجة النبي ﷺ بلا ولي ولا شاهدين.

وكانت تفخر بذلك رضي الله عنها على أمهات المؤمنين، تقول: «**زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ**»[١].

ومن فضائلها: أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ)[٢].

ومن فضائلها رضي الله عنها: ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**»[٣]؛ أي: أول واحدة ستموت منكن بعدي

[١] صحيح البخاري (٩/ ١٢٤) رقم (٧٤٢٠).

[٢] متفق عليه: صحيح البخاري (٣/ ١٥٦) رقم (٢٥٨١)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٩١) رقم (٢٤٤٢).

[٣] متفق عليه: صحيح البخاري (٢/ ١١٠) رقم (١٤٢٠)، صحيح مسلم (٤/ ١٩٠٧) رقم (٢٤٥٢).

أطولكن يدًا، فلمّا مات النبي ﷺ قالت: (فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا) فكُن أمهات المؤمنين أخذن الأمر على الحقيقة، فكُنّ يضعن أيديهن ويَقِسن الأيدي ليرين مَنْ يدها أطول من يد الأخرى.

فإذا أولهن تموت بعد النبي ﷺ هي زينب بنت جحش رضي الله عنها، وكانت أكثرهن صدقة، كانت تعمل بيدها وتتصدق، فلمّا ماتت فهمن قول النبي ﷺ أنه قَصَد بقوله: «**أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**» أي: أكثركن صدقةً وإحسانًا.

وهي أول امرأة من أمهات المؤمنين تموت بعد النبي ﷺ توفيت سنة عشرين من الهجرة، وصلى عليها عمر رضي الله عنه، ودُفِنَت في البقيع.

«**ثُمَّ بَدْرُ الْمَوْعِدِ**» أي: غزوة بدر الموعد، ويقال لها غزوة بدر الآخرة؛ لأنها آخر الغزوات التي يقال لها (بدر) وهي: (بدرٌ الصغرى، وبدرٌ الكبرى، وبدر الموعد).

وكانت في شهر ذي القعدة من السنة الرابعة، حيث خرج النبي ﷺ في شوال، ووصل إلى المكان الذي وقعت فيه غزوة بدر، على بُعْد (١٥٥) كيلومترًا من المدينة.

سبب هذه الغزوة: أنه لَمّا انصرف أبو سفيان بعد غزوة أُحد قال: (موعد ما بيننا وبينكم بدر)، فتَوَاعد مع المسلمين أن يلتقي بهم في بدر بعد عامٍ من غزوة أُحد، فحدّد الزمان، وحدّد المكان، فخرج النبي ﷺ ومعه ألف وخمسمائة صحابي، معهم عشرة أفراس، وأخذوا معهم تجارتهم، وخرج من المشركين ألفان ومعهم خمسون فرسًا.

وكان لواء النبي ﷺ أبيض، يحمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لكن أبو سفيان بعدما خرج بجيش المشركين، وصلوا إلى مرّ الظهران قبل أن يصلوا بدر، فألقى الله -تعالى- الرعب في قلوبهم، فخطب أبو سفيان فيهم وقال: (إن العام عام جَدْب وقحط، ولا يحسن بكم القتال في هذا العام، وأرى أن ترجعوا، ثم نرجع للقتال في عامٍ خصب) وأخذ الجيش ورجع من الطريق.

ووصل النبي ﷺ إلى بدر، ومَكَث فيها ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان، فلم يأتِ أحد، وكان مع المسلمين تجارة وأموال، فباعوا ما معهم من البضائع، وربحوا ربحًا وفيرًا، ورجعوا سالمين غانمين.

«وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ» أي: بعد غزوة بدر الموعد وقعت غزوة الأحزاب، ويقال لها أيضًا غزوة الخندق.

بالنسبة لتحديد زمان غزوة الأحزاب: فريق من علماء السِّيَر قالوا: إنها كانت في السنة الرابعة، وهو قول موسى بن عقبة وابن حزم، واختيار الناظم.

لكن أكثر علماء السِّيَر يرون أنها كانت في شوال من السنة الخامسة.

سبب الغزوة: أن نفرًا من يهود بني النضير الذين أجلاهم النبي ﷺ من المدينة إلى خيبر خرجوا إلى قريش بمكة، وألّبوهم على حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر.

ثم خرجوا إلى غَطفان، وألّبوا أيضًا قبائل غَطَفان على قتال النبي ﷺ.

فخرج جيش قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وجيش غطفان وقائدهم عُيينة بن حِصن، وكان عدد المشركين من قريش وغطفان عشرة آلاف مقاتل.

فوصلوا إلى المدينة، وحاصروها، وأشار سلمان الفارسي ﵁ على النبي ﷺ أن يحفر الخندق -وهو عادة من عادات الفرس- في المنطقة التي يمكن أن تدخل منها الخيل إلى المدينة؛ لأن باقي المناطق إما جبال وإما حجارة غير صالحة لسَير الخيل عليها.

فعمل النبي ﷺ بمشورته، وشارك مع أصحابه في حَفْر الخندق.

وكان عدد الصحابة من المهاجرين والأنصار مع النبي ﷺ ثلاثة آلاف.

واستخلف النبي ﷺ على المدينة عبد الله بن أُم مكتوم ﵁.

وأثناء غزوة الخندق كان من الأماكن المخوفة ديار بني قريظة، آخر قبيلة من اليهود باقية هناك، فذهب النبي ﷺ وجَدّد معهم العهد، أنهم ينصرون المسلمين، وأن لا يسمحوا للمشركين بالدخول من جهتهم، وأن لا يعينوا المشركين، وجَدّدوا العهد بذلك.

وجمع النبي ﷺ النساء والذراري، ووضعهم في حصنٍ بجوار مساكن يهود بني قريظة، وخرج بمَنْ معه من الرجال عند الخندق، والمشركون في الجهة الأخرى.

واشتد الخوف والخطر بالمسلمين، كما ذكر الله ﷻ: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾[الأحزاب:١١].

وظلت قريش وغطفان يحاصرون المدينة شهرًا كاملًا، ولم يستطيعوا اجتياز الخندق.

ثم إن الله ﷻ أرسل عليهم ريحًا شديدة قلعت خيامهم وأكفأت قدورهم، وبعث الله -تعالى- الملائكة فزلزلت قلوبهم من الرعب.

وكذلك أيضًا هيّأ الله -تعالى- الصحابي الكريم نعيم بن مسعود ﵁ حيث جاء مسلمًا، فقال له النبي ﷺ: «**خَذِّل عنّا ما استطعت**»[١].

فأوقع بين غطفان وقريش واليهود، وكانوا يعرفونه ويثقون فيه ولم يعلموا بإسلامه.

فذهب إلى كل فريقٍ منهم يُوهمهم أن الفريق الآخر قد عَزَم على الغدر بهم، وأنهم سيتركونهم، فأصبح كل منهم يتوجس خيفة من الآخر، فدبّ في قلوبهم الرعب والشقاق.

وفَرّوا ورجعوا مهزومين، ونَصَر الله -تعالى- المسلمين.

«فَاسْمَعْ» أي: اسمع سماع مَنْ يعي ويفهم وينتفع.

«وَاعْدُدِ» أي: اعرف ما يتعلق بعدد الغزوات، وعدد أحداث السيرة بصفة عامة.

ثم قال:

٦٥- ثُـمَّ بَـنِي قُرَيْظَـةٍ وَفِيهِمَـا ... خُلْـفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَـاعِ عُلِمَـا

٦٦- كَيْفَ صَلاَةُ الْخَوْفِ وَالْقَصْرُ نُمِي ... وَآيَـةُ الْحِجَـابِ وَالتَّيَمُّـمِ

«وَفِيهِمَا خُلْفٌ» أي: في تاريخ هاتين الغزوتين: (غزوة الأحزاب، وغزوة بني قريظة)، خلاف، قيل: كانتا في الرابعة، وقيل: كانتا في الخامسة.

بالنسبة لغزوة بني قريظة كانت عقب غزوة الأحزاب.

---

[١] سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٩)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ٢٥٩).

والمشهور في السيرة: أنها كانت في الثالث والعشرين من ذي القعدة، سنة خمس من الهجرة.

ومكانها: مساكن بني قريظة، وهي في عوالي المدينة.

وسببها: غَدْر بني قريظة بالمسلمين، حيث تعاونوا مع المشركين في غزوة الأحزاب، وحاولوا اقتحام الحصن الذي فيه أُمّهات المؤمنين، وفيه نساء الصحابة والأطفال، فغدروا غدرًا عظيمًا بالمسلمين، وكانوا من أسباب زيادة البلاء والشدة على المسلمين في غزوة الأحزاب.

في الصحيحين[١] عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ لَمّا رَجَعَ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاَحَ، وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الغُبَارُ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ فَوَاللهِ مَا وضعته)؛ جبريل ﵇ يقول للنبي ﷺ: وضعت السلاح؟ فوالله ما وضعته، جبريل لم يضع سلاحه بعد.

فقال رسول الله ﷺ: «**فأين؟**» قال: هاهنا، وأومأ إلى بني قريظة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وقال: «**لَا يُصَلّيَن أَحَدٌ الْعَصْرَ إلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ.

فوصل النبي ﷺ إلى حصون بني قريظة، وحاصرهم خمسة وعشرين يومًا، وكان عدد يهود بني قريظة سبعمائة رجل غير النساء والأطفال.

ولما طال بهم الحصار طلبوا من النبي ﷺ أن ينزلوا على حُكم سعد بن معاذ

[١] صحيح البخاري (٢/ ١٥) رقم (٩٤٦)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٩١) رقم (١٧٧٠).

ﷺ، وهو سيد الأوس خاصةً، وسيد الأنصار عامةً.

وكان سعد بن معاذ ﷺ قلبه ممتلئًا غيظًا من بني قريظة، وسأل الله -تعالى- ألّا يميته حتى يشفي صدره منهم، وكان قبل ذلك حليفًا لهم في الجاهلية، فظنوا أن سعدًا سيرفق بهم في حُكمه، فطلبوا أن ينزلوا على حُكمه، فقَبِل النبي ﷺ ذلك، وأَذِن لسعد أن يحكم فيهم.

فقال سعد -رضي الله عنهم-: (حُكمي فيهم أن تُقتَل مُقاتلتهم، وأن تُسبى نساءهم وذراريهم)، فقال النبي -صلى الله عليهم وسلم- «**لقد حكمتَ فيهم بحُكم الملك من فوق سبع سموات**»[١]، وأَمَر بهم النبي ﷺ أن يُخرجوا عشرة عشرة فيُقتلون، ويُؤتى ببقيتهم، حتى قَتَلهم النبي ﷺ كلهم، وسبى النساء والأطفال.

والأطفال الذين كان يُشَكّ في بلوغهم، أَمَر النبي ﷺ أن يُكشف عن موضع شعر العانة، فمَنْ كان منهم أنبت يُلحَق بالرجال ويُقتل، ومَنْ كان لم ينبت له الشعر في هذا المكان فيُلحق بالأطفال ويُؤخَذ سبيًا.

وكانوا بينما يُخرَجون عشرة عشرة، يقولون لسيدهم: هل تعلم ماذا يحصل للذين يخرجون؟ فقال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ أما ترون أن الذاهب لا يرجع، وأن الداعي لا ينزع؟

أي: العشرة الذين يذهبون لا يرجعون مرة ثانية، والداعي الذي يأتي يطلب ويأخذ عشرة لا يتوقف، أي: سوف تقتلون كلكم.

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٥/ ٣٥) رقم (٣٨٠٤)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٨) رقم (١٧٦٨).

«وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ»: أي: غزوة ذات الرقاع وقع فيها خُلف أيضًا؛ قيل: إنها كانت في السنة الرابعة، وقيل: في الخامسة، وقيل: في السابعة.

الذين قالوا: في الرابعة، قالوا: كانت في جمادى الأولى في السنة الرابعة.

بالنسبة لغزوة ذات الرقاع: موضعها في أرض غطفان من جهة نجد، شرقي المدينة، تبعد عن المدينة (١١٥) كيلو مترًا.

حاليًا المنطقة يقال لها: قرية النُّخَيْل في محافظة الحَنّاكية.

وسبب هذه الغزوة: أنه قد تجمع بنو محارب وبنو ثعلبة من قبائل غطفان النجدية، واحتشدوا لغزو المدينة.

فخرج النبي ﷺ ومعه أربعمائة من المهاجرين والأنصار، ولَقِيهم عند هذه المنطقة، فتقارب الجيشان، ومكث المسلمون في مكانهم لم يبدءوا القتال حتى يبدأ المشركون، والمشركون خافوا أن يستأصلهم النبي ﷺ وأصحابه فلم يبدءوا القتال.

وظل كل فريق ينتظر أن يبدأ الفريق الآخر، ثم إن المشركين رجعوا ورجع النبي ﷺ ولم تقع حرب.

وسميت هذه الغزوة بذات الرقاع؛ لأن المسلمين تشققت خِفافهم في السير في تلك المنطقة، فجعلوا يُقَطّعون ما معهم من الأثواب، ويجعلونه خِرَقًا يلفونها على أقدامهم؛ فسميت غزوة ذات الرقاع لذلك.

وجاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه خرج مع النبي ﷺ في غزوة ذات الرقاع،

وكانوا ستة نفر يعتقبون بعيرًا، يتناوبون الركوب عليه، قال: فنَقِبت قَدماي، وسقطت أظفاري، وكنا نلُف على أرجلنا الخِرَق، فسميت غزوة ذات الرقاع. قال أبو بردة: فحدّث أبو موسى بهذا الحديث ثم كَرِه ذلك، قال: كأنه كره أن يكون عملًا صالحًا عمله مع النبي ﷺ فأفشاه[١].

«عُلِمَا كَيْفَ صَلَاةُ الْخَوْفِ» أي: شُرِعت صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع، فعَلّم النبي ﷺ أصحابه صلاة الخوف في هذه الغزوة.

وهذا هو القول المشهور في السِّيَر الذي رواه ابن إسحاق وغيره: أن مشروعية صلاة الخوف كانت في غزوة ذات الرقاع.

والرأي الآخر: أن صلاة الخوف كانت في غزوة عُسفان؛ التي كانت بعد غزوة الخندق، والله تعالى أعلم.

«وَالْقَصْرُ» أي: في هذه السنة الرابعة أيضًا كان قَصْر الصلاة.

فالصلاة كانت ركعتين، ثم صارت الظهر والعصر والعشاء أربعًا سفرًا وحضرًا، ثم في السنة الرابعة من الهجرة شَرَع الله -تعالى- صلاة الخوف، وأَذِن في تخفيف صلاة الظهر والعصر والعشاء إلى ركعتين في السفر.

«نُمي» أي: رُوِي ونُقِل.

«وَآيَةُ الْحِجَابِ وَالتَّيَمُّمِ» أي: من أحداث السنة الرابعة أيضًا أنه نزلت فيها آية الحجاب، وكان ذلك صبيحة دخول النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها.

---

[١] صحيح مسلم (٣/ ١٤٤٩) رقم (١٨١٦).

ونزلت فيها آيات التيمم، وكان سبب ذلك: ضياع عِقْد لعائشة ﵂ في بعض الغزوات، وقيل: كان في غزوة بني المصطلق، فجلسوا يبحثون عنه في كل مكان، ولم يجدوه، فلَمّا أيسوا من العثور عليه حَرّكوا البعير فوجدوا العقد تحته.

لكن لَمّا تأخروا في البحث عن العقد كانوا في موضعٍ لا ماء فيه، ولم يكن شُرِع التيمم، وحانت الصلاة ولم يعرفوا ماذا يصنعون.

فشرع الله -تعالى- التيمم، فقال أسيد بن الحضير: «**مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ**»[١].

أي: بسبب عقد عائشة كان هذا التخفيف الذي نزل على المسلمين.

ثم قال:

٦٧- قِيلَ: وَرَجْمُهُ الْيَهُودِيَّيْنِ وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ

«قِيلَ» أي: وكان أيضًا في السنة الرابعة رَجْم اليهوديين.

وقصة رجم اليهوديين في البخاري ومسلم أن النبي ﷺ أُتي بيهودي ويهودية زَنَيا فانطلق النبي ﷺ حتى جاء يهود، فقال: «**ما تجدون في التوراة عن مَنْ زنا؟**» قال: نُسَوّد وجوههما، ونُحَمّلهما، ونخالف بين وجوههما ويُطاف بهما، فقال النبي ﷺ: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[آل عمران:٩٣] فجاءوا بها فقرءوها، حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها، وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام: وهو مع رسول الله ﷺ

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (١/ ٧٤) رقم (٣٣٤)، صحيح مسلم (١/ ٢٧٩) رقم (٣٦٧).

مره فليرفع يده، فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ، فرجما، قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه[١].

«وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ» أي: الحُسين رضي الله عنه وُلِد في السنة الرابعة أيضًا، وهو الأشهر، وهو ما اختاره المؤلف.

ثم قال:

٦٨- اَلْإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ   وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ اسْمَعْ وَثِقِ

في نُسخة أخرى معكوس:

٦٨- وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ اسْمَعْ وَثِقِ   اَلْإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

«اسْمَعْ وَثِقِ»: أي: عِ وافهم وثِق بما يقال.

«اَلْإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ»؛ هنا يتكلم عن حادثة الإفك، وعن غزوة بني المصطلق.

غزوة بني المصطلق، ويقال لها: غزوة المريسيع أيضًا، والمريسيع: اسم موضع فيه بئر ماء، يبعد عن المدينة بالمقاييس المعاصرة (٢٤٠ كيلو مترًا)، وحاليًا عند قرية يقال لها: قرية السُّلَيم في وادي ستارة، وبنو المصطلق هم القبيلة التي تسكن عند هذا الماء، فالغزوة تارة تُسمى باسم السكان أو باسم المكان.

المؤلف هنا ذكر أنها كانت في السنة الخامسة من الهجرة، وهذا أحد القولين.

والقول الآخر: أنها كانت في الثاني من شعبان من السنة السادسة من الهجرة،

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٦/ ٣٧) رقم (٤٥٥٦)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٢٦) رقم (١٦٩٩).

وهذا هو الأشهر عند علماء السِّيَر.

سبب الغزوة: أن بني المصطلق تجمعوا لحرب النبي ﷺ، وقائدهم وسيدهم هو الحارث بن أبي ضرار، وهو والد أم المؤمنين جويرية زوج النبي عليه الصلاة والسلام.

فجاءت الأخبار إلى النبي ﷺ أنهم يريدون حربه، فباغتهم النبي ﷺ بالهجوم وهُم غير مستعدين للقتال.

وكان عدد المسلمين سبعمائة مقاتل من الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-، ومعهم ثلاثون فارسًا.

وكانت راية المهاجرين مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وراية الأنصار مع سعد بن عُبادة سيد الخزرج رضي الله عنه.

فلما باغتهم النبي ﷺ بالهجوم، هرب منهم مَنْ هرب، وقُتِل منهم عشرة، واستُشهد رجل واحد من المسلمين رضي الله عنه، وسبى النبي ﷺ نساءهم وأبناءهم، وغَنِم أموالهم.

وكان من جملة السبي: أم المؤمنين جويرية بنت الحارث، حيث أسلم أبوها، ووقعت في نصيب ثابت بن قيس بن شَمّاس، لَمّا وزع النبي ﷺ السبي.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: وقعت جويرية بنت الحارث بن المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس، أو ابن عم له فكاتبت[١] على نفسها، وكانت امرأة مُلّاحة تأخذها العين، قالت: عائشة رضي الله عنها فجاءت تسأل رسول الله

[١] المكاتبة: أن يدفع العبد ثمنه ليتحرر، فيذهب ويجمع من الزكوات والأموال ما يدفع به ثمن نفسه لسيده حتى يُعتَق.

ﷺ في كتابتها فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مكانها وعرفت أن رسول الله ﷺ سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت يا رسول الله: أنا جويرية بنت الحارث وإنما كان من أمري ما لا يخفى عليك وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وإني كاتبت على نفسي فجئتك أسألك في كتابتي فقال رسول الله ﷺ: «فهل لك إلى ما هو خير منه؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال لها: «**أَوْ ما هو خير من ذلك؟**» قالت: وما هو؟ قال: «**أتزوجك وأقض عنك كتابتك**» قالت: «**قد فعلتُ**»، قالت: فتسامع - تعني الناس - أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي، فأعتقوهم، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق[١].

وحين تزوجها النبي ﷺ كان عمرها عشرين سنة، وتوفيت رضي الله عنها سنة خمسين من الهجرة.

وفي غزوة بني المصطلق أيضًا وقعت حادثة الإفك التي رُميت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- حيث قالت: كان رسول الله ﷺ، إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها، خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودج، وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش،

---

[١] سنن أبي داود (٤/ ٢٢)، وصححه ابن حبان (٩/ ٣٦١).

فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت، فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج، فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منزلهم وليس فيه أحد، فأممت منزلي الذي كنت به، فظننت أنهم سيفقدونني، فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة غلبتني عيناي، فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي، أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم، ثم يقول: «**كيف تيكم**»، لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي، فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا، فقالت: يا هنتاه، ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا على مرضي،

فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ، فسلم فقال: «**كيف تيكم**»، فقلت: ائذن لي إلى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ، فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله، ولقد يتحدث الناس بهذا، قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «**يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟**»، فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها قط، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: «**من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**»، فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا، ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة - وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية - فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله، ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت

لعمر الله، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس، والخزرج حتى هموا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل، فخفضهم حتى سكتوا، وسكت وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينا هما جالسان عندي، وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد ثم قال: «**يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب تاب الله عليه**»، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ كثيرا من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلا، إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]، ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد

من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات، فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها، أن قال لي: «**يا عائشة احمدي الله، فقد برأك الله**»، فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلت: لا والله، لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله ﷻ براءتها في آياتٍ كريمة من كتابه الكريم[١].

ثم قال:

٦٩- وَدُومَـةُ الْجَنْدَلِ قِيلَ وَحَصَلْ عَقْدُ ابْنَـةِ الْحَارِثِ بَعْـدُ وَاتَّصَلْ

أي: وفي السنة الخامسة أيضًا غزوة دومة الجندل، وموضعها الحالي في محافظة الجوف بجوار مدينة سكَاكَة، تبعد عن سكَاكة خمسين كيلومترًا، وتبعد عن تبوك أربعمائة كيلومترًا، وتبعد عن المدينة المنورة ثمانمائة وست وخمسين كيلومترًا.

وكانت في الخامس والعشرين من ربيع الأول، في السنة الخامسة من الهجرة.

وسبب الغزوة: أنه بَلَغ النبي ﷺ أن القبائل في دومة الجندل تَحَشّدوا لقتاله، وأنهم يظلمون مَنْ مَرّ بهم من القوافل.

فخرج النبي ﷺ لقتالهم ومعه ألفٌ من أصحابه -رضي الله عنهم- فكان يسير بهم في الليل ويكمن في النهار، حتى وصل إلى دومة الجندل.

فلما سمعت قبائل دومة الجندل بقدوم جيش النبي ﷺ هربوا من بيوتهم، وغَنِم النبي ﷺ أنعامهم وأموالهم، وبثّ السرايا لملاحقة مَنْ هرب منهم في الجهات

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٣/ ١٧٣- ١٧٧) رقم (٢٦٦١)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٢٩- ٢١٣٧) رقم (٢٧٧٠).

المختلفة.

وكان من نتائج هذه الغزوة: بَثّ الرعب في قلوب الروم؛ لأن هذه المنطقة كانوا حلفاء للروم.

«**عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ بَعْدُ**» أي عَقْد النبي ﷺ على جويرية بنت الحارث رضي الله عنها بعد غزوة دومة الجندل.

«**وَاتَّصَلْ**»: أي: عَقَد عليها وبَنَى بها في نفس هذا الوقت.

ثم قال:

٧٠- وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ فِي ذِي الْخَامِسَةْ ... ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءُ السَّادِسَةْ

«**وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ**» أي: عَقْد النبي ﷺ على ريحانة «**فِي ذِي الْخَامِسَةْ**».

هنا يتكلم عن عَقْد النبي ﷺ على ريحانة، وهي بنت شمعون بن زيد بن عمرو -رضي الله عنها وأرضاها-، قيل: إنها من بني النضير، وقيل: إنها من بني قريظة، والأكثر على أنها من بني النضير وكانت متزوجة برجلٍ من بني قريظة، فالذين نسبوها لبني قريظة لكون زوجها السابق اليهودي كان من بني قريظة، يقال له: الحَكَم القرظي.

كانت في سبي النبي ﷺ، اصطفاها لنفسه، فكان يُعاشرها بِمِلْك اليمين، وأَبت إلا اليهودية في أول الأمر، ثم بينما النبي ﷺ مع أصحابه جاء ثعلبة بن سَعية وكان من أحبار اليهود وأسلم -رضي الله عنه- وأرضاه-.

فإذا به يأتي ويُبَشّر النبي ﷺ بإسلام ريحانة.

فهنا وقع الخلاف بين علماء السِّيَر:

الفريق الأول رووا أن النبي ﷺ أعتقها وتزوجها، وأنها من أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن وأرضاهن-.

والفريق الآخر يقول: إنها كانت مِلْك يمين للنبي ﷺ مثل مارية، ولم يتزوجها.

لكن الناظم هنا ﵀ يسير على قول مَنْ قال: إنها كانت من أمهات المؤمنين، وهو قول ابن سعد، والواقدي، وجماعة من علماء السِّيَر.

وتوفيت ريحانة ﵂ بعد أن رجع النبي ﷺ من حجة الوداع، وصلى عليها النبي ﷺ، ودَفنها في البقيع -رضي الله عنها وأرضاها-.

فلذلك هي ليست من التسع اللائي بقين بعده ﷺ، وأمهات المؤمنين اللائي مُتْنَ في حياته ﷺ غير هؤلاء التسع، المجمع عليهم: أم المؤمنين خديجة، وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة، فيكون مجموع أمهات المؤمنين إحدى عشر امرأة.

والفريق من أهل العلم الذين يقولون: إن ريحانة كانت زوجة للنبي ﷺ ممَّنْ توفي في حياته، يصبح مجموع أمهات المؤمنين اثنتي عشرة -رضي الله عنهن وأرضاهن-.

«ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءُ السَّادِسَةْ» غزوة بني لِحيان كانت في ربيع الأول، أو جمادى الأولى، في السنة السادسة.

وبنو لحيان في موضع قريب من عُسفان، ويبعدون عن مكة سبعة وثمانين كيلومترًا، وتبعد عن جدة خمسة وثلاثين كيلومترًا.

سبب هذه الغزوة: أن بني لحيان غدروا بعَشَرة من أصحاب النبي ﷺ عند ماءٍ يقال له الرجيع، وقتلوهم، منهم خُبيب بن عَدي الأنصاري، وزيد بن الدثنة – رضي الله عنهم وأرضاهم-.

فخرج رسول الله ﷺ لقتالهم، ومعه مائتان من الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين-، فلمّا سمع بنو لحيان بقدوم النبي ﷺ هربوا في رؤوس الجبال، وأقام النبي ﷺ يومًا أو يومين، وبعث السرايا في كل ناحية يبحثون عمَّنْ هرب منهم، فلم يُصِب منهم أحدًا.

وتابع النبي ﷺ سَيْره في هؤلاء الصحابة الذين كانوا معه إلى عُسفان.

ومما يُذْكَر أنه في منطقة بني لحيان بئر يقال لها: بئر التَّفْلة، هذه البئر كانت بئرًا مالحة شديدة الملوحة، لا يستطيع أحد أن يشرب منها، فتَفَل فيها النبي ﷺ فصارت من أعذب الماء، ويُقال: هذه البئر ما زال الماء فيها كثير وعذب إلى وقتنا هذا ببركة تَفْلة النبي ﷺ فيها.

ثم قال:

٧١- وَبَعْـدَه اسْتِسْـقَاؤُهُ وَذُو قَرَدْ وَصُـدَّ عَـنْ عُمْرَتِـهِ لَمَّـا قَصَـدْ

«**وَبَعْدَه**» أي: وبعد غزوة بني لِحيان حصل استسقاء النبي ﷺ، وكان ذلك في بعض الغزوات حيث سبقه المشركون إلى الماء فأصاب المسلمين عطش، فشكوا إلى رسول الله ﷺ، ونجم النفاق، فقال بعض المنافقين: لو كان نبيا كما يزعم لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**أو قالوها؟ عسى ربكم أن يسقيكم**» ثم بسط يديه وقال: «**اللهم جللنا سحابا**

كثيفا قصيفا دلوقا حلوقا ضحوكا زبرجا تمطرنا منه رذاذا قطقطا سجلا بعاقا يا ذا الجلال والإكرام» فما رد يديه من دعائه حتى أظلتنا السحابة التي وصفت، تتلون في كل صفة وصف رسول الله ﷺ من صفات السحاب، ثم أمطرنا كالغروب التي سألها رسول الله ﷺ، فأفعم السيل الوادي، فشرب الناس من الوادي وارتووا[١].

«وَذُو قَرَدْ» أي: وكذلك من أحداث هذه السنة: غزوة ذي قَرَد، وكانت في ربيع الأول أيضًا من السنة السادسة من الهجرة، ويقال لها غزوة الغابة؛ لأنها كانت في منطقة يقال لها الغابة، في اتجاه الشمال الغربي من المدينة تبعد خمسة وعشرين كيلومترًا.

سبب هذه الغزوة: أن عُيينة بن حصن الفزاري أغار على لقاح -أي: إبل- النبي ﷺ التي بالغابة، واستقاها وقَتَل راعيها، وسبى امرأته.

وأول مَنْ عَلِم بذلك هو سَلمة بن الأكوع الأسلمي رضي الله عنه فانبعث في طلبهم ماشيًا، وكان مشهورًا بسرعته في الرّكض ولا يسبقه أحد، فجعل يرميهم بالنَّبل، ويقول:

خُذْها أَنَا ابنُ الأكوعِ ... واليومَ يومُ الرُّضَّع

الرّضّع: أي: اللئام.

فطاردهم حتى استرجع عامة ما بأيديهم، فكانت هذه الغزوة كلها لسلمة بن الأكوع رضي الله عنه هو الذي قام بالعمل الأكبر فيها.

---

[١] مستخرج أبي عوانة (٢/ ١١٩).

وخرج النبي ﷺ ومعه خمسمائة رجل من الصحابة، وعُيينة بن حصن الفزاري كان معه أربعون رجلًا على الخيل، واسترجع النبي ﷺ اللقاح كلها، واستردوا امرأة الرجل الغفاري، وقُتِل عدد من المشركين.

وكان يحمل لواء النبي ﷺ المقداد بن عمرو رضي الله عنه.

واستُشهد من المسلمين رجلان.

وأقام النبي ﷺ عند ماءٍ يقال له ذو قَرَد يومًا وليلة، ونَحَر لقحة من هذه الإبل، وأكل منها القوم؛ فلذلك يقال لها غزوة ذي قَرَد، وغزوة الغابة.

«**وَصُدَّ عَنْ عُمْرتِهِ لَمَّا قَصَدْ**» أي: لَمّا قَصَد مكة معتمرًا، وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة، وهذه العمرة التي صُدّ عنها النبي ﷺ وأصحابه تُعَدّ أيضًا في الغزوات، ويقال لها غزوة الحُديبية.

وفيها خرج النبي ﷺ معتمرًا، ومعه ألف وأربعمائة رجل من الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-، لا يريد حربًا، ولَمّا سمعت قريش بسَيْره أخرجوا كتائبهم، وكان على المشركين خالد بن الوليد، وكان هذا قبل إسلامه رضي الله عنه.

ولَمّا وصل النبي ﷺ إلى الحديبية -وهي قريةٌ تبعد عن مكة اثنين وعشرين كيلومترًا، وهي ملاصقة لحد الحرم، وفيها بئر الحديبية، جزء منه يدخل داخل حدود الحرم-، فلما وصل إليها النبي ﷺ أَبَى المشركون أن يدخل حدود الحرم.

ولَمّا مكث النبي ﷺ هناك بَعَث عثمان بن عفان، سفيرًا عنه لمفاوضة المشركين.

ولَمّا تأخّر عثمان رضي الله عنه أُشيع أنه قُتِل، فبايع النبي ﷺ أصحابه بيعة الرضوان قبل

صلح الحديبية عند الشجرة، كما قال -تعالى-: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، والفتح القريب هو صُلح الحديبية؛ سماه الله -تعالى- فَتحًا لأنه كان سببًا في دخول كثير من القبائل في حِلْف النبي ﷺ في أمان.

وعَقَد النبي ﷺ صُلحًا مع المشركين، كان من أبرز بنوده:

- وَضْع الحرب عشر سنين.

- وأنه مَنْ جاء من قريشٍ مهاجرًا إلى النبي ﷺ يَرُدّه إليهم، ومَنْ جاء إلى قريش ممَّنْ مع النبي ﷺ لا يردّونه.

- وأنه مَنْ أحب من القبائل العربية أن يدخل في حِلْف النبي ﷺ يدخل، ومَنْ أحب أن يدخل في حلف قريش يدخل.

- وأن يرجع المسلمون هذا العام، ويأتوا للعمرة من العام المقبِل.

وقَبِل النبي ﷺ ذلك، وكانت هذه الشروط رغم أنها في الظاهر مُجحفة بالمسلمين، لكن جعل الله -تعالى- فيها البركة والخير، وانتشر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

وكذلك الذين كانوا يأتون إلى النبي ﷺ مهاجرين كان لا يقبلهم في المدينة، ولكن ليس للنبي ﷺ عليهم سلطان، فيتركهم يذهبون أينما أرادوا؛ لأنه لم يكن في الشروط أن النبي ﷺ يأخذهم ويُسَلّمهم لقريش، فصار مَنْ يُسلم من قريش يذهب إلى أبي بصير -رضي الله عنه- وأرضاه-، وأقاموا تَجَمّعًا يقطعون الطريق على المشركين، وعلى تجارتهم، وآذوا مشركي قريش إيذاءً شديدًا، حتى جاءت قريش تطلب

من النبي ﷺ إلغاء هذا البند، والذي يُسلم يأخُذه عنده ولا تتركه، فكانت العاقبة خيرًا.

ولَمّا أسلمت بعض المؤمنات وجئن مهاجرات إلى النبي ﷺ أَمَر الله -تعالى- نبيّه أن لا يعمل بهذا الشرط في حق المؤمنات؛ لأنه في حق الرجال، أما النساء: مَنْ آمنت وهاجرت فيُبقّيها في المدينة ولا يتركها تخرج.

ثم قال:

٧٢- وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ أُولَى وَبَنَى فِيهَا بِرَيْحَانَةَ هَذَا بَيَّنَا

«وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ» النبي ﷺ بايع ألف وأربعمائة رجل من أصحابه بيعة الرضوان، على أن يقاتلوا في سبيل الله لو اتضح أن عثمان قُتِل، لكن تبيّن أنه لم يُقتل -رضي الله عنه وأرضاه-.

وسُمّيت بيعة الرضوان؛ لأن الله تعالى رَضي عمّن بايع فيها، فصار في مناقبهم أنهم ممَّنْ بايع تحت الشجرة، ونَصّ الله -تعالى- في كتابه الكريم على أنه قد رَضِي عنهم.

«وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ أُولى»، وفي بعض النُّسخ: «وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ أَوَّل» أي: وقعت بيعة الرضوان أولًا قبل صلح الحديبية.

«وَبَنَى فِيهَا بِرَيْحَانَةَ هَذَا بَيّنَا»، وفي نُسخة «بُيِّنَا» أي: في هذه السنة بنى النبي عليه الصلاة والسلام بريحانة بنت شمعون -رضي الله عنها وأرضاها-، وذلك على القول بأنه عَقَد عليها في السنة الخامسة، وبنى بها في السادسة.

ثم قال:

٧٣- وَفُرِضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهْ   وَكَانَ فَتْحُ خَيْبَرٍ فِي السَّابِعَةْ

٧٤- وَحَظْرُ لَحْمِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةْ   فِيهَا وَمُتْعَةِ النِّسَا الرَّوِيَّةْ

يقول: «وَفُرِضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ» أي: وقع خلاف متى فُرِض الحج، فقيل: في السادسة، وقيل: في التاسعة.

قال: «وَكَانَ فَتْحُ خَيْبَرٍ فِي السَّابِعَةْ» أي: فَتْح خيبر كان في السنة السابعة.

مُلخص أحداث غزوة خيبر:

أنها وقعت في العشرين من شهر المحرّم، سنة سبع من الهجرة.

وخيبر مدينة تبعد عن المدينة المنورة (٣٢٥) كيلومترًا في اتجاه الشمال.

سبب هذه الغزوة: تحريض يهود خيبر قبائل العرب على قتال النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ أَجْلَى يهود بني قينقاع، ويهود بني النضير، فلمّا أجلاهم ذهبوا إلى يهود خيبر، وتجمعوا معهم وأخذوا يُحَرِّضون قريشًا ومشركي العرب على قتال النبي ﷺ.

فخرج إليهم النبي ﷺ ومعه ألف وستمائة رجل، منهم مائتا فارس، وعدد اليهود كانوا عشرة آلاف مقاتل.

وتعاقب على حَمْل اللواء: أبو بكر، ثم عمر، ثم علي -رضي الله عنهم-.

فحاصر النبي ﷺ حصون خيبر، وفَتَح جميع هذه الحصون ما عدا حصنين: الوطيح والسُّلالِم، نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم، وأن يُحلّوا

له الأموال.

وحصل قتال، واستُشهد من الصحابة عشرون صحابيًّا –رضي الله عنهم –.

وانتهت المعركة: وقُتِل عدد من اليهود، وتزوج النبي ﷺ صفية بنت حُيي بن أخطب، وكان أبوها من زعماء اليهود، وجَعل عِتْقها صداقها.

ثم بعدها سار النبي ﷺ إلى غزوة وادي القرى، وحاصر اليهود فيها، وغَنِم المسلمون أموالًا.

وصالح النبي ﷺ مَنْ بَقي من أهل خيبر، وقال: نُقِرّكم فيها ما شئنا، أي: إذا شاء أن يُجلِيهم عن خيبر يُجليهم، وأنهم يعملون للمسلمين على شطر ما يخرج منها، وكانت كثيرة النخيل والثمار.

وفي عهد عمر رضي الله عنه أجلاهم عمر عن خيبر، قال: إن النبي ﷺ قال: «**نُقرّكم فيها ما شئنا**»، فأخرجهم عمر رضي الله عنه من خيبر إلى منطقة يقال لها تيماء، وأريحاء[١].

ثم قال:

٧٤- وَحَظْرُ لَحْمِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّهْ فِيهَا وَمُتْعَةِ النِّسَا الرَّوِيَّهْ

«**وَحَظْرُ لَحْمِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّهْ فِيهَا**» أي: في السنة السابعة في هذه الغزوة كان تحريم لحوم الحُمر الأهلية.

والحمر الأهلية: احترازًا من الوحشية؛ لأنها يُباح أَكْلها.

وكانوا قد طبخوا لحوم حُمر أهليّة، فأَمَرهم النبي ﷺ أن يُريقوا القدور، وحَرّم

[١] مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٦/ ٥٥).

لحوم الحُمر الأهلية.

وفي السنة السابعة أيضًا كان تحريم متعة النساء: وهو الزواج المؤقت.

«الرَّوِيَّهْ»، وفي نسخة أخرى: «الرَّدِيَّهْ» بالدال، من الرّداءة، أي: السيئة؛ لأنها بعد أن حُرّمت صارت شيئًا قبيحًا سيئًا.

فكان إلى غزوة خيبر مسموحًا بزواج المتعة؛ وهو أن الرجل يتزوج امرأة على زمنٍ مؤقت؛ أسبوع، أو شهر، أو نحوه، ويعطيها صداقًا مقابل هذه المدة المحصورة، وينتهي العقد بانقضاء المدة، ثم نُسِخ ذلك، وصار الزواج على التأبيد، أي: لا يجوز تأقيت عَقْد الزواج.

جاء عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الصحيحين[١]: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَهَى عَنْ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ».

ثم قال:

٧٥- ثُـمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَـةٍ عَقَـدْ وَمَهْرَهَـا عَنْـهُ النَّجَـاشِيُّ نَقَـدْ

«أُمِّ حَبِيبَةٍ»، في بعض النُّسخ «حَبِيبَةَ»، والأصل أنها ممنوعة من الصرف، والنُّسخ التي فيها الصرف تكون لضرورة الوزن.

هنا قصة زواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأمّ حبيبةَ -رضي الله عنها وأرضاها-، واسمها: رَمْلة بنت أبي سفيان.

أبوها سفيان بن حرب؛ سيد المشركين في ذلك الوقت، وأخوها معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛

[١] صحيح البخاري (٧/ ١٢) رقم (٥١١٥)، صحيح مسلم (٢/ ١٠٢٧) رقم (١٤٠٧).

ولذلك يقال له: خال المؤمنين[١].

وكانت مهاجرة بأرض الحبشة، فبعث النبي ﷺ يخطبها سنة سبع، فكان وليّها في الزواج خالد بن سعيد بن العاص، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار[٢]، فلم يكن في أزواج النبي ﷺ أكثر صداقًا منها، ولا مَنْ تزوجها وهي نائية الدار أبعد منها، وأتت إليه من الحبشة.

«وَمَهْرَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقَدْ» أي: النجاشي هو الذي دَفَع المهر نقدًا لها رضي الله عنها نيابةً عن النبي ﷺ.

ثمّ قال:

٧٦- وَسُمَّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّهْ ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّهْ

يقول: «وَسُمَّ فِي شَاةٍ» أي: سُمّ النبي ﷺ في شاةٍ، «بِهَا» أي: بالسنة السابعة لَمّا فُتحت خيبر، حيث أهدت امرأة من اليهود إلى النبي ﷺ شاةً، وسألت أي موضع من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل: الذراع، فوضعت وكَثّرت السم في ذراع الشاة.

---

[١] وهذا الوصف ليس خاصًّا به، بل كل إخوان أمهات المؤمنين، فهُم أخوال المؤمنين؛ مثل: عبد الله بن عمر أخو حفصة رضي الله عنها، فهو أيضًا خال المؤمنين.

[٢] الدينار: أربعة جرامات وربع من الذهب، فأربعمائة دينار أي: ألف وسبعمائة جرامًا من الذهب، والجرام بحوالي خمسين دولارًا تقريبًا، فيكون ٨٥ ألف دولار، وليس هو العادة في مهور أزواج النبي ﷺ، بل مهور أزواج النبي ﷺ وبناته أربعمائة درهم، والدرهم ثلاثة جرام فضة حوالي نصف دولار، فيكون أربعمائة ١٢٠٠ جرام، أي: حوالي ستمائة دولار، بالمقاييس المعاصرة، لكن أم حبيبة كانت لها وَضع خاص؛ لأن الذي دفع الصداق هو النجاشي.

فجاءه جبريل عليه السلام وأخبره أن الشاة مسمومة، بعد أن وضع قطعة منها في فمه، لكن لم يبلعها، فأخرجها النبي ﷺ.

لكن رجل من الصحابة أَكَل من هذه الشاة فتوفي -رضي الله عنه وأرضاه- بسبب السم، حيث بدأ بالأكل قبل أن يُوحَى إلى النبي ﷺ أنها مسمومة.

وقَتل النبي ﷺ هذه اليهودية قصاصًا بسبب الصحابي الذي مات بسببها.

ولَمّا سئلت المرأة: لِم فعلتِ ذلك؟ فقالت: قلتُ: إن كنت كاذبًا استرحنا منك، وإن كنت صادقًا فستُخبَر.

وكانت وفاته ﷺ من أثر هذا السم؛ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ»[١].

فأراد الله -تعالى- أن يجمع له أجر الشهادة زيادة على فضل النبوة وفضل الرسالة زيادةً في تشريفه ﷺ.

«ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّةْ» أي: اسمها صفية، وهي صفيّة: أي: مختارَة، أي: اختارها وفَضّلها لنفسه، وهي صفية بنت حُيي بن أخطب، أبوها كان من زعماء يهود بني النضير وكبرائهم، وكانت من سَبْي خيبر؛ لأنه تم إجلاء بني النضير إلى خيبر، ولما وُزِّعت السبايا فوقعت في سهم دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، فأسلمت وأعتقها النبي ﷺ، وجعل عِتْقها صداقها.

وهي من ذرية هارون بن عمران -عليه السلام-، أخي موسى، فهي ابنة نبي،

---

[١] صحيح البخاري (٦/ ٩).

وزوجة نبي؛ فلهذا جاء في حديث أنس ﵁ قال: بلغ صفية أن حفصة، قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «**ما يبكيك؟**» فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: «**وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟**» ثم قال: «**اتقي الله يا حفصة**»[١].

وأولم عليها النبي ﷺ سويقًا وتمرًا، وجعل عِتقها صداقها ﵂[٢].

ثم قال:

٧٧- ثُمَّ أَتَتْ وَمَنْ بَقِي مُهَاجِرَا   وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الآخِرَا

أي: أتت صفية ﵂ إلى المدينة في صحبة النبي ﷺ من خيبر.

قال: «وَمَنْ بَقِي مُهَاجِرَا» في الحبشة رجع أيضًا في هذا التوقيت، أي: عقب النصر في خيبر؛ ولهذا النبي ﷺ نَفَلهم شيئًا ممّا غَنِمه المسلمون في خيبر، فَقَدم جعفر بن أبي طالب ﵁ ومَنْ معه من مهاجرة الحبشة، فقال النبي ﷺ: «**ما أدري بأيهما أُسَرّ؛ بفَتْح خيبر أم بقدوم جعفر**»[٣] أي: كلاهما أمْر سار، سُرّ به النبي ﷺ.

قال: «وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الآخِرَا» أي: كان آخر عقد زواج لواحدة من أمهات المؤمنين هو عَقْده على ميمونة بنت الحارث الهلالية؛ فهي آخر مَنْ تزوجها النبي ﷺ من أمهات المؤمنين، لم يتزوج بعدها غيرها.

وميمونة بنت الحارث الهلالية من بني هلال بن عامر بن صعصعة، تزوجها

[١] سنن الترمذي (٥/ ٧٠٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[٢] متفق عليه: صحيح البخاري (٥/ ١٣٢) رقم (٤٢٠١)، صحيح مسلم (٢/ ١٠٤٥) رقم (١٣٦٥).

[٣] مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥٤١).

النبي ﷺ في العام السابع من الهجرة، حين فَرَغ من عمرة القضاء في شهر ذي القعدة، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وهو نفس مقدار مهور أزواج النبي ﷺ.

وعُمَر النبي ﷺ كلهنّ في ذي القعدة.

وسمّيت عمرة القضاء لأنّ النبي ﷺ لما ذهب للعمرة في ذي القعدة والمشركون طلبوا منه أن يرجع إلى المدينة، ويأتي في العام المقبل في نفس الوقت، فجاء النبي ﷺ في العام السابع في شهر ذي القعدة للعمرة، واعتمر هو وأصحابه عُمرة القضاء.

وكانت ميمونة من سادات العرب، وقيل: إنها هي التي وهبت نفسها للنبي، التي ذكرها الله -تعالى- في قوله: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأحزاب:٥٠].

فكان من خصائص النبي ﷺ: أنه لو وهبت امرأة مؤمنة نفسها للنبي ﷺ أي: تقول له: (وهبت لك نفسي) فإذا قال: (قبلت) صارت زوجًا له بغير حاجة إلى ولي ولا شهود، أما أي أحد آخر لا يصلح ذلك؛ بل لابد من ولي وشهود.

ثمّ قال:

٧٨- وَقَبْـلُ إِسْـلَامُ أَبِي هُرَيْـرَةْ   وَبَعْـدُ عُمْـرةُ الْقَضَـا الشَّـهِيرَةْ

«وَقَبْلُ» أي: قبل عَقْد النبي ﷺ على ميمونة، كان إسلام أبي هريرة -رضي الله عنه وأرضاه-؛ فإنه أسلم قبل خيبر.

«وَبَعْدُ» أي: وبعد غزوة خيبر كانت عُمرة القضاء في شهر ذي القعدة.

ثمّ قال:

٧٩- وَالرُّسْـلَ فِي مُحَـرَّمِ الْمُحَـرَّمِ أَرْسَـلَهُمْ إِلَى الْمُلُـوكِ فَاعْلَـمِ

أي: أرسل النبي ﷺ في شهر المحرم من السنة السابعة رسله إلى الملوك، يدعونهم إلى الإسلام؛ فبعث عمرو بن أُمية الضمري بكتابٍ إلى النجاشي، وبَعث دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل قيصر الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كِسرى ملك الفرس، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك القبط في الإسكندرية، وآخرين من رسل رسول الله ﷺ بعثهم إلى الملوك يدعونهم إلى الإسلام في شهر المحرم من السنة السابعة.

وتنوعت إجاباتهم؛ فمنهم مَنْ أحسن الجواب، وبعث ردًّا حسنًا، وبعث هدايا إلى النبي ﷺ، ومنهم مَنْ أساء الرد، ومنهم كسرى مَزّق الكتاب، فدعا عليه النبي ﷺ أن يمزق كل ممزق[١]، وقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**مَزّق الله مُلكه**»[٢]، وبالفعل تمزق مُلك الفرس، ولم تَقُم لهم قائمة بعدها.

وأمّا هرقل قيصر الروم[٣] لَمّا جاءه الكتاب وقُرئ عليه، وكان من علماء النصارى، فعَلِم أنه هو النبي الخاتم ﷺ.

وحصلت القصة الشهيرة، مع أبي سفيان أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشأم في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان

---

[١] صحيح البخاري (٤/ ٤٥).

[٢] معرفة السنن والآثار (١٣/ ٣٥٢).

[٣] قيصر: لقب لكل مَنْ مَلك الروم من الكفار، وكان اسمه في زمن النبي ﷺ هرقل، وكان يحكم بلاد الشام، وتركيا، وأجزاء من أوروبا، وكانت عاصمته حمص.

وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك، هل كنتم تتهمونه بالكذب

قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام. وكان ابن الناظور، صاحب إيلياء وهرقل، سقفا على نصارى الشأم

يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يوما خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزّاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه[١].

ثمّ قال:

٨٠- وَأُهْدِيَـتْ مَارِيَـةُ الْقِبْطِيَّـةْ فِيـهِ وَفِي الثَّامِنَـةِ السَّرِيَّـةْ

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (١/ ٨-١٠) رقم (٧)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٩٣) رقم (١٧٧٣).

٨١- لِمُؤْتَـةٍ سَـارَتْ وَفِي الصِّيَـامِ قَـدْ كَانَ فَتْـحُ الْبَـلَدِ الْحَـرَامِ

«**وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّة**» وكانت جاريةً للمقوقس ملك القبط في الإسكندرية، وكانت من أجمل النساء، فأهداها هي وأختها سيرين إلى النبي ﷺ لما قُرئ عليه الكتاب، وبَعَث بغلة بيضاء يقال لها دَلدل، كان النبي ﷺ يركبها، وبعث ردًّا حسنًا على كتاب النبي ﷺ.

فاصطفى النبي ﷺ مارية لنفسه، وأهدى سيرين لحسان بن ثابت رضي الله عنه.

وأسلمت -رضي الله عنها وأرضاها- ولكنها كانت تحت النبي ﷺ بِمِلْك اليمين، لم يتزوجها، وهي التي ولدت له ابنه إبراهيم.

ولهذا النبي ﷺ قال: «**استوصوا بأهل مصر خيرًا؛ فإن لكم فيهم ذِمّة ورَحِمًا**»[١] ذِمّة: هي مارية، ورَحِمًا: هي هاجر أم إسماعيل، وهو أبو العرب، كانت أيضًا من مصر.

وتوفيت مارية في العام الثاني عشر، وقيل: في السادس عشر -رضي الله عنها وأرضاها-.

«**فِيهِ**» أي: في المحرم من السنة السابعة، أهدى المقوقس مارية للنبي عليه الصلاة والسلام.

«**وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّةْ**» أي: وفي السنة الثامنة كانت سرية[٢] مؤتة، لكن بعض أهل العلم يعدّها مع الغزوات؛ بسبب أنه ﷺ وإن لم يكن موجودًا فيها بنفسه،

---

[١] صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٠) رقم (٢٥٤٣).

[٢] السرية: هي الجيش الذي يبعثه النبي ﷺ للقتال، ولا يخرج فيه بنفسه.

لكن أطلعه الله ﷻ على أحوالها كأنه موجود، فكان النبي ﷺ يقول: حَمَل الراية فلان، ثم حَمَل الراية فلان، وكل مَنْ قُتِل من الصحابة يخبرهم النبي ﷺ.

ومؤتة كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان، فبعث النبي ﷺ الأمراء إلى مؤتة، وهي تعتبر قرية من قرى الشام، بجوار تبوك.

وخطب النبي ﷺ أصحابه وهو في المدينة، وقال لهم: «**حَمَل الراية زيدٌ فأصيب**» وهو زيد بن حارثة، «**ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة، ففتح الله عليه**». قال: أي: النبي ﷺ : «**وما يسرني إنهم عندنا**» وعيناه تذرفان[١].

وكان النبي ﷺ قد حدّد الأمراء على هذا الترتيب، فقال: الأمير زيد بن حارثة، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِل فعبد الله بن رواحة، فقُتل الأمراء الثلاثة، فأخذ الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه من غير تعيين من النبي ﷺ.

وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وجيش المشركين كانوا مائتي ألف؛ مائة ألف من الروم، ومائة ألف من نصارى العرب، وقائد المشركين كان هرقل بنفسه، مع أنه كان موقن أن النبي ﷺ على حق، وأن دينه الحق.

فثبت جيش المسلمين ثباتًا عظيمًا في مواجهة هذا الجيش العظيم، وقُتل من المسلمين مَنْ قُتل.

وأخذ الراية خالد رضي الله عنه ففتح الله له، حيث تمكّن من المناورة، والرجوع بجيش المسلمين سالِمًا، لأنه كاد أن يفنى.

---

[١] صحيح البخاري (٤/ ١٧- ١٨) رقم (٢٧٩٨).

وسماه النبي ﷺ سيف الله المسلول، حيث قال: «**حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم**»[١].

«وَفِي الصِّيَامِ قَدْ كَانَ فَتْحُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ» أي: فَتْح مكة كان في العاشر من رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة.

وسبب الغزوة: أن قريشًا نقضت صلح الحديبية الذي كان مع رسول الله ﷺ، وكانت مُدة الصلح عشر سنوات، لكن بعد مرور أقل من سنتين، في رمضان نقضوا العهد، وذلك أنه كان من ضمن بنود العهد أنهم لا يعتدون على حلفاء النبي ﷺ، فدخل بنو خزاعة في حلف النبي ﷺ مسلمهم وكافرهم، ودخل في حِلف قريش بنو بكر، ثم بعد ذلك حصل قتال بين خزاعة وبكر، فأعان مشركو قريش بني بكر الذين هم حلفاؤهم، أعانوهم على خزاعة، وقتلوا جماعةً من المسلمين من خزاعة، فكان هذا غدرًا بالعهد، وجاء عمرو بن سالم من خزاعة إلى النبي ﷺ وأنشد أبياتًا يستنصر فيها به، ويُخبر فيها أن المشركين بغوا عليهم، وأنهم قتلوهم، فسمع النبي ﷺ مناشدته، فلَمّا فرغ قال: «**نُصرت يا عمرو بن سالم**»[٢] وأَمَر أصحابه أن يخرجوا لفتح مكة.

فخرج مع النبي ﷺ عشرة آلاف مقاتل من الصحابة –رضي الله عنهم–، وكان حامل اللواء سعد بن عبادة سيد الأنصار، ثم الزبير بن العوام –رضي الله عنهما–.

فحاصر النبي ﷺ مكة، واستسلموا له، ولم يحدث إلا شيء يسير من القتال،

---

[١] صحيح البخاري (٥/ ١٤٣) رقم (٤٢٦٢).

[٢] السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٣٩١).

فقُتِل من الصحابة ثلاثة، وقُتِل من المشركين ثلاثة عشر.

وبعد أن نَصَر الله -تعالى- نبيّه ﷺ وفَتَح مكة لم يقسم غنيمةً، ولم يسبِ أحدًا من أهلها؛ لحُرمة مكة، ولكونهم أقارب المسلمين، فعفا النبي ﷺ عن أهل مكة، وكان هذا العفو سببًا في دخول الناس أفواجًا في الإسلام.

ثم قال:

٨٢- وَبَعْدَهُ قَدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي ... يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ

«وَبَعْدَهُ» أي: بعد فَتْح مكة؛ الذي كان في رمضان من السنة الثامنة من الهجرة.

«أَوْرَدُوا» أي: أورد علماء السِّيَر والمغازي.

«مَا كَانَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ»: أي: أحداث غزوة حنين، وأحداث غزوة الطائف.

بالنسبة لغزوة حنين: كانت في اليوم العاشر من شوال في السنة الثامنة من الهجرة.

وحُنين: وادٍ يبعد عن مكة ثلاثين كيلومترًا في اتجاه الطائف للخارج من مكة، ويبعد عن الطائف سبعة وثمانين كيلومترًا.

سبب هذه المعركة: أن قبائل هوازن وثقيف جَمعهم مالك بن عوف النَّضري لحرب النبي ﷺ بعد أن فَتَح النبي ﷺ مكة.

وكان عدد جيش النبي ﷺ اثني عشر ألفًا؛ منهم عشرة آلاف خَرَجوا معه لفَتْح مكة، وألفان ممّن أسلم من أهل مكة، وانضموا إلى النبي -ﷺ-.

وأما جنود هوازن وثقيف: فكانوا خمسة وعشرين ألف مقاتل.

وتُسمى غزوة حنين، وتسمى أيضًا غزوة هوازن، وغزوة أوطاس.

فحنين، اسم الوادي، وأوطاس: اسم بلدة قريبة، وهوازن: اسم القبيلة.

لكن الاسم الذي سماها الله -تعالى- به في القرآن الكريم هو حنين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:٢٥-٢٦] إلى آخر الآيات الكريمة.

في أول الغزوة حصل إعجابٌ من المسلمين بكثرتهم، فقالوا: (لن نُهزم اليوم من قِلّة) فأراد الله ﷻ تأديب المؤمنين، وأن يزدادوا توَكُّلًا على الله -عز وجل-، وأن لا يعتمدوا على قوّتهم وكثرتهم، فحصلت الهزيمة في أول المعركة، واستُشهد أربعةٌ من الصحابة -رضي الله عنهم-.

فلمّا انهزم المسلمون في أول المعركة لجئوا إلى الله -تعالى-، وتَوكّلوا عليه وصاروا موقنين أن النصر بيده وحده ﷻ، فنصرهم الله ﷻ في آخر المعركة.

فجَمعهم النبي ﷺ وهَجَم بهم على المشركين، ففرّ المشركون وتركوا نساءهم وأولادهم وأموالهم كلها، وكانوا قد نزلوا على مشورة أحد قادتهم؛ حيث أشار عليهم أن يخرجوا بكل نسائهم وأطفالهم وأموالهم معهم في المعركة حتى يُثَبّتهم ذلك، فيستميتون في القتال حتى لا يفقدوهم، لكن كان هذا سببًا في أن تؤول هذه النساء والأطفال والأموال كلها إلى المسلمين.

وانقسم المشركون الهاربون إلى قسمين:

- قسم ذهب إلى الطائف، وتحصنوا في حصن منيع فيها.

- وقِسم ذهب إلى أوطاس.

فغَنِم النبي ﷺ وأصحابه أكبر غنيمة؛ من السَّبي: ستة آلاف رأس ما بين نساء وأطفال، ومن الإبل: أربعة وعشرين ألف بعير، ومن الغنم: أربعين ألف شاة، ومن الفضة: أربعة آلاف أوقية[١].

وأخّر النبي ﷺ قسمتها بضع عشرة ليلة؛ رجاء أن يقدموا عليه مسلمين.

وبَعَث النبي ﷺ سريّةً بقيادة أبي عامر الأشعري رضي الله عنه إلى أوطاس؛ لقتال مَنْ تَجَمّع بها من هوازن وثقيف، وخَرَج هو بمَنْ معه من الجيش في اليوم التالي مباشرة وهو يوم ١١ شوال في السنة الثامنة من الهجرة، لغزو الطائف؛ لملاحقة هؤلاء الذين هربوا إليها.

فحاصر النبي ﷺ حصن الطائف عشرين ليلة، وفي أول أيام الحصار بدءوا يرمون المسلمين، فقُتل واستُشهد عدد من الصحابة -رضي الله عنهم-، واشتدّ الأذى في المسلمين بسبب الرمي من الحصن على المسلمين في الخارج.

فتأخر النبي ﷺ لمسافة تقيهم وتجعل من الصعب أن يصل إليهم رَمْي المشركين.

ثم أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه على النبي ﷺ بصُنْع الدبابة والمنجنيق، وهي أول غزوة استعمل فيها النبي ﷺ الدبابة والمنجنيق.

[١] الأوقية: أربعون درهمًا، والدرهم: حوالي ثلاثة جرامات.

والدبابة عبارة عن بيت من الخشب، يدخل تحته عدد من الرجال يحملونه، ويحيط بهم من كل جانب بحيث يقيهم رَمْي السهام، وعليه جلود، وأخشاب سميكة، يستعملونه في كَسْر جدار الحصن، حيث يركضون به ويضربون به الجدار.

والمنجنيق: آلة تقذف الحجارة بقوة، ويمكن أن يوضع فيها قذائف مشتعلة أيضًا، فكان يوضع عليها الحجارة الكبيرة، وترميها بقوة، فتصدم جدار الحصن، وتمكنوا من هَدْم جزء من سور الحصن.

لكن المشركون كانوا قد جَهّزوا حَسَكًا وأشواكًا من الحديد مُحماة بالنار، فجعلوا يرمونها على الصحابة –رضي الله عنهم- فتأذى عدد من الصحابة من هذا الحَسك المحمي بالنار.

واستمر الحصار والقتال عشرين ليلة، ثم رأى النبي ﷺ أن يرجع وأن يدعو لهم بالهداية، فقال: «**اللهم اهدِ ثقيفًا**»[١].

فلم تمر سنة بعد هذه الواقعة، في السنة التاسعة جاءوا كلهم مسلمين إلى النبي ﷺ ببركة دعوته.

ثم قال:

٨٣- وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتِمَارُهْ مِـنَ الْجِعِرَّانَـةِ وَاسْـتِقْرَارُهْ

«**ذِي الْقِـعْدَةِ**»: بفتح القاف وكسرها.

---

[١] سنن الترمذي (٥/ ٧٢٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

أي: بعد فَكّ النبي ﷺ الحصار عن أهل الطائف، وصل إلى الجعرّانة[١]، فأقبلت هوازن فاستعطفوه، وقالوا: يا رسول الله، أنتم الولد، ونحن الوالد، أتيناك نتشفع بك إلى المؤمنين، ونتشفع بالمؤمنين إليك، ما أصبتم من ذرارينا ونسائنا، فردوه إلينا، وما أصبتم من أموالنا، فلله ولرسوله طيبة به أنفسنا. فقال رسول الله ﷺ: «**إذا كان العشي، فقوموا، فقولوا مثل مقالتكم هذه**»، فلما كان العشي، قام رسول الله ﷺ، وقامت هوازن، فقالوا: يا رسول الله، أنتم الولد، ونحن الوالد، أتيناك نتشفع بك إلى المؤمنين ونتشفع بالمؤمنين إليك، ما أصبتم من ذرارينا ونسائنا، فردوه إلينا، وما أصبتم من أموالنا، فهو لله ولرسوله طيبة به أنفسنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما كان لله ولرسوله، فهو لكم**» وقال المهاجرون: وما كان لنا، فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله. وقال الأقرع بن حابس: ما كان لي ولبني تميم، فلا أهبه. وقال عيينة بن بدر: وما كان لي ولغطفان، فلا أهبه. وقال العباس بن مرداس: ما كان لي ولبني سليم، فلا أهبه. وقالت بنو سليم: ما كان للعباس، فليصنع به ما شاء، وما كان لنا، فهو لله ولرسوله، وأخذ رسول الله ﷺ وبرة بين أصبعيه، فقال: «**إنه لا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود فيكم. فأدوا الخيط والمخيط، فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة، وإن قوي المؤمنين يرد على ضعيفهم، وأقصاهم على أدناهم، ويعقد عليهم أدناهم**»[٢].

وأحرم النبي ﷺ من الجعرّانة، ودخل مكة معتمرًا، وكان قد وَلّى عليها عَتّاب

---

[١] الجعرانة: موضع على حدود مكة، وهي أول الحِلّ من تلك الجهة.

[٢] الأموال لابن زنجوية (١/ ٣١٥- ٣١٦).

بن أسيد ﵁ لَمّا فَتَحها، وكان شابًا عمره عشرون سنة، ممَّنْ أسلم يوم الفتح.

ثم قال:

٨٤- وَبِنْتُـهُ زَيْنَـبُ مَاتَـتْ ثَمَّـا مَـوْلِدُ إِبْرَاهِيـمَ فِيهَـا حَتْمَـا

«وَبِنْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ»: أي: توفيت زينب بنت النبي ﷺ في السنة الثامنة، وكان زوجها أبا العاص بن الربيع ﵁.

«ثَمَّا» بالفتح: هناك، وفي نسخة: «ثُمَّا» بالضم: أداة العطف.

إذا قلنا: (ثَمّ) بمعنى هناك يكون المقصود أي: في نفس السنة الثامنة.

وإذا قلنا: (ثُم) فيكون: عطف للجملتين، ولعله هو الصواب.

«ثُمَّا مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا» أي: ووُلِد إبراهيم في السنة الثامنة.

«حَتْمَا»: أي: هذا شيء قطعي حصل، وهو حَشو لا يتعلق به حُكم، فقط مجرد تأكيد للأمر.

ثم قال:

٨٥- وَوَهَبَـتْ نَوْبَتَهَـا لِعَائِشَـهْ سَـوْدَةُ مَـا دَامَـتْ زَمَانًا عَائِشَـهْ

«وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَة سَوْدَةُ» أي: أم المؤمنين سودة ﵂ في هذه السنة الثامنة وهبت ليلتها لأم المؤمنين عائشة ﵂ طَلَبًا لرضا النبي ﷺ.

«مَا دَامَتْ عَائِشَة»: أي: مُدة حياتها.

ثمّ قال:

٨٦- وَعُمِلَ الْمِنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفِ وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ

أي: من أحداث السنة الثامنة للهجرة: أنه عُمِل فيها المنبر الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ.

«غَيْرَ مُخْتَفِ»: أي: في مكان واضح معروف من مسجد النبي ﷺ.

وكان النبي ﷺ في أول الأمر يخطب إلى جذع، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ: كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرا؟ قال: «**إن شئتم**»، فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، تئن أنين الصبي الذي يسكن. قال: «**كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها**»[١].

«وَحَجَّ عَتَّابٌ»: أي عَتّاب بن أَسيد رضي الله عنه الذي ولّاه النبي ﷺ أميرًا على مكة، كَلّفه النبي ﷺ أن يكون أمير الحج في العام الثامن، وهذه أول حَجّة بعد فَتْح مكة.

ثمّ قال:

٨٧- ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِعَهْ وَهَدَّ مَسْجِدَ الضِّرَارِ رَافِعَهْ

هذه آخر غزوة من غزوات النبي ﷺ وهي الغزوة السابعة والعشرون، وهي غزوة تبوك، وكانت في شهر رجب من السنة التاسعة من الهجرة.

وتبوك: مدينة تبعد عن المدينة المنورة سبعمائة وثمانية وسبعين كيلومترًا.

[١] صحيح البخاري (٤/ ١٩٥) رقم (٣٥٨٤).

وفي هذا الوقت: بلاد الروم كانوا يحكمون الشام، وحدود الشام في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين كانت تبدأ من تيماء، وهي مدينة قبل تبوك.

أي: تبوك كانت تُعتبر من الشام خارج جزيرة العرب؛ لأن عمر رضي الله عنه لَمّا أجلى اليهود عن جزيرة العرب، أجلاهم من خيبر إلى تيماء، وهي أقرب إلى المدينة من تبوك.

وسبب الغزوة: أن النبي ﷺ جاءته الأخبار أن هرقل قيصر الروم جَمَع جيشًا يريد أن يغزو المسلمين في المدينة، فقرر النبي ﷺ أن يغزوهم قبل أن يسيروا هم لقتال المسلمين، فتوجّه النبي ﷺ لقتال الروم في تبوك.

وكان جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل، منهم عشرة آلاف فارس، وهو أكبر جيش خرج مع النبي ﷺ.

وأما جيش الروم فكانوا مائة وعشرين ألفًا، وقائدهم: هرقل قيصر الروم.

وأرسل هرقل رسالةً مع رجل يقال له التنوخي وكان مُشركًا في ذلك الوقت، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، فلذلك يقال فيه: تابعي ولكن حديثه عن النبي ﷺ متصل، ليس بمرسل، ويقال له: مخضرم؛ لأنه أدرك زمن النبي ﷺ.

فالتقى التنوخي بالنبي ﷺ، وسلّمه رسالة هرقل، وقد كَتَب إلى النبي ﷺ يقول: (أنا على دينك)، فقال ﷺ: «**كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، لَيْسَ بِمُسْلِمٍ، وَهُوَ على النصرانية**»[١].

والجيش في غزوة تبوك يقال له جيش العُسرة، والذي جهّز هذا الجيش عثمان بن عفان –رضي الله عنه وأرضاه–، حيث قال النبي ﷺ لَمّا أراد الخروج: «**مَنْ يُجهّز جيش**

[١] صحيح ابن حبان (١٠/ ٣٥٨).

العُسرة وله الجنة؟»[١] فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله علي ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «**ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه**»[٢].

وكان اللواء في هذه الغزوة أبيض، وحامله هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه وأرضاه-.

وكان هناك راية للمهاجرين مع الزبير بن العوام، وراية للأوس مع أُسيد بن حضير، وراية للخزرج مع أبي دُجانة من الأنصار، وكانت الرايات سوداء.

وأَمَر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواءً صغيرًا غير اللواء الكبير.

وبقي النبي ﷺ في تبوك عشرين يومًا، ينتظر قدوم جيش الروم، فألقى الله -تعالى- في قلب هرقل ومَنْ معه الرعب، فرجعوا ولم يحضروا لقتال المسلمين.

فكانت هذه الغزوة فيها بَسْط هيبة المسلمين على تلك الأماكن، فدَخل في حِلْف النبي ﷺ عدد كبير من أُمراء المناطق المحيطة بتبوك، وكلهم كانوا من نصارى العرب التابعين لهرقل، فخرجوا من حلف هرقل، وصاروا حلفاء للنبي ﷺ، فاتّسعتْ رقعة الدولة الإسلامية، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

---

[١] صحيح البخاري (٤/ ١٣) رقم (٢٧٧٨).

[٢] سنن الترمذي (٥/ ٦٢٥- ٦٢٦).

«وَهَدَّ مَسْجِدَ الضِّرَارِ رَافِعَهْ» أي: رافعًا الضرار، أو رافعًا المسجد، أي: أزاله وهَدَمه.

ومسجد الضرار: هذا مسجد بناه المنافقون في المدينة، بقيادة عبد الله بن أُبي بن سلول، وكان المنافقون يتجمعون فيه، وجعلوه في موضعٍ ناءٍ، وكانوا أعدوا هذا المسجد لاستقبال رجل يقال له أبو عامر الراهب، وسماه النبي ﷺ: أبو عامر الفاسق.

وأبو عامر الراهب هذا كان حليفًا لهرقل قيصر الروم، وكان في غزوة أُحد حَفَر حُفَرًا وغَطّاها، فسقط النبي ﷺ في حفرةٍ منها في غزوة تبوك، وجُرح ﷺ بسبب ذلك.

وهو الذي قال الله -تعالى- فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ [التوبة:١٠٧] فالذي حارب الله ورسوله من قبلُ هو أبو عامر الفاسق، والمنافقون كانوا من خلاله يبعثون الرسائل إلى هرقل، ويستقبلونها منه، وجعلوا هذا المسجد حيلة حتى يجتمعوا فيه من غير أن يُنكِر عليهم أحد، ويستقبلوا فيه مَنْ يَفِد إليهم من قِبَل هرقل.

فأخبر الله -تعالى- نبيّه ﷺ بشأنهم، فلمّا رجع ﷺ من غزوة تبوك هَدَم مسجد الضرار، وجَعَل مكانه مَزْبلة لجَمْع القمامة.

وسمي مسجد ضرار: أي: للإضرار بالمسلمين وإيذائهم.

ثمّ قال:

٨٨- وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ وَثَمْ   تَلا بَرَاءَةً عَلِيٌّ وَحَتَمْ

٨٩- أَنْ لَا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلَا   يَطُوفُ عَارٍ ذَا بِأَمْرٍ فَعَلا

يقول: «وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ» أي أبو بكر الصديق رضي الله عنه حَجّ بالناس في السنة التاسعة من الهجرة.

ثم بَعَث النبي عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب؛ لأنه من عادة العرب أن القائد إذا عاهد عهدًا وأراد أن يرفعه أو يُعَدّل فيه إما أن يُبَلّغ ذلك بنفسه أو بِمَنْ ينوب عنه من أهل بيته، فبَعث عليًّا لأنه من أهل بيته ليُبَلِّغ عنه عليه الصلاة والسلام.

فأرسله بالآيات من سورة براءة: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة:١]، وفيها مصير العهود التي كان النبي عليه الصلاة والسلام عاهدها، وكان منها عهود مُطلقة غير مؤقتة بزمن، وعهود مؤقتة بزمن.

وأصحاب هذه العهود كانوا أيضًا على أصناف؛ منهم مَنْ وَفَى بعهده، ومنهم مَنْ غدر.

فسورة براءة فيها تفصيل أحكام كل فريق من أصحاب هذه العهود.

وكان من ضمن أيضًا ما بُعِث به علي رضي الله عنه: أنه عليه أن يُبَلِّغ الناس: لا يحجّن بعد العام مُشرك، ولا يطوفن بالبيت عُريان.

لأن المشركين مما حَرّفوه وبَدّلوه في شريعة إبراهيم -عليه السلام- أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُراة، وكانوا يزعمون أن الملابس التي عصوا الله -تعالى- فيها في الحِل لا يطوفون بها في الحرم، فكانوا يفرضون على الناس الذي يريد أن يطوف

أن يشتري من ملابس الحرم، ويُغالون في أثمانها، فالذي لا يتمكن يطوف عريانًا كما ولدته أُمّه، حتى النساء كُن يطفن بالليل وتستر المرأة فَرْجها بيدها، وكانوا أيضًا يُشرِكون بالله –تعالى- في التلبية.

وقال جمهور أهل العلم: هذا هو الذي أَخّر النبي ﷺ عن الحج، في العام الثامن والتاسع، وهو أن المشركين كانوا يحجون، مع وجود العراة الذين يطوفون بالبيت، وأراد النبي ﷺ ألّا يحج إلا مع المسلمين فقط؛ حتى لا يكون في الحج ما يُشَوّش على المسلمين عبادتهم، حتى يقتدي الناس به فيها.

فالنبي ﷺ أرسل بمَنْع ذلك في العام التاسع، قال: «**لا يحج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان**»[١].

«ذَا» أي: هذا، «بِأَمْرٍ فَعَلَا» أي: أبو بكر وعليّ، فعلا ذلك بأَمْرٍ من النبي ﷺ، وفي بعض النسخ: «فُعِلا» أي: هذه الأمور فُعِلت بأمر رسول الله ﷺ.

ثم قال:

٩٠- وَجَاءَتِ الْوُفُودُ فِيهَا تَتْرَى هَذَا وَمِنْ نِسَاهُ آلَى شَهْرَا

أي: من أحداث السنة التاسعة: أنها يقال لها عام الوفود؛ لأنه فيها دخل الناس في دين الله أفواجًا.

فالعرب بعد فَتْح مكة أيقنوا أن الرياسة آلت إلى رسول الله ﷺ في جزيرة العرب، ولم يعد أحد يُنازع النبي ﷺ في سلطانه بعد انهزام قريش.

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (١/ ٨٢) رقم (٣٦٩)، صحيح مسلم (٢/ ٩٨٢) رقم (١٣٤٧).

فجاءت وفود القبائل «تَتْرَى» أي: متتابعة، طيلة العام التاسع، فكان النبي ﷺ يستقبل وفدًا إِثْر وفد، يأتون يبايعون رسول الله ﷺ من جميع أنحاء الجزيرة.

وكان النبي ﷺ يُكرِم كريم كل قوم، ويُوَلّيه عليهم، ويبعث معهم مَنْ يُعَلّمهم الدين، ويُعَلّمهم الإسلام.

ومن أحداث هذه السنة التاسعة: إيلاء النبي ﷺ من نسائه شهرًا.

والإيلاء: أي: أن يحلف الرجل أنه لا يأتي أهله، أو لا يُعاشر أهله.

فآلى النبي ﷺ من نساءه شهرًا، وهجرهم تسعة وعشرين يومًا، وقال: (الشهر تسعة وعشرون يومًا)، وكان له عُلّية –وهي موضع عالٍ مرتفع- يبيت فيه خلال هذه الليالي.

سبب الإيلاء: ذُكر له أكثر من سبب، وأهل العلم جمعوا بينها بأنه لا مانع أن يكون كل ذلك حصل، فاجتمعت عِدّة أمور جعلت النبي ﷺ يهجرهن شهرًا.

من هذه الأسباب: أنهن سألنه النفقة ﷺ، والنبي ﷺ كانت تأتيه أموال طائلة من الغنائم والفتوح، وجَعَل الله –تعالى- له نصيبه خُمس الخمس من المغنم، لكنه ﷺ كان أجود الناس، وكان أزهد الناس في الدنيا؛ فكانت تأتيه الأموال، فكان يدّخر لأهله قوت سنة، ويتصدق بالباقي.

ثم حتى هذا الذي ادّخره يظل يتصدق منه ﷺ حتى ربما مَرّ على نسائه الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أَهِلّة في شهرين، ولا يُوقَد في بيت رسول الله ﷺ نار، ليس لهم إلا الأسودان: التمر والماء[١].

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٣/ ١٥٣) رقم (٢٥٦٧)، صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٣) رقم (٢٩٧٢).

والسبب الثاني: أن النبي ﷺ أَسَرّ إلى حفصة سِرًّا فأفشته إلى عائشة، فأغضبه ذلك.

والسبب الثالث: ما فعلته عائشة وحفصة رضي الله عنهما بسبب الغيرة من زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ فكان النبي ﷺ أَكل عسلًا عند زينب، فاتفقتا على أن تقول كل واحدة منهن للنبي ﷺ إذا جاء عندها: «إني أجد ريح مغافير»، والمغافير: يقال له الصمغ، يُشبه العسل، ولكن رائحته كريهة، فالنبي ﷺ ظن أن زينب أعطته مغافير، ليس عسلًا.

فكلّ هذه أشياء أغضبت رسول الله ﷺ، فحلف ألّا يدخل على نسائه شهرًا.

فلمّا مضت تسعة وعشرون يومًا دخل عليهن ﷺ.

ثم قال:

٩١- ثُـمَّ النَّجَـاشِيَّ نَـعَى وَصَـلى عَلَيْـهِ مِـنْ طَيْبَـةَ نَـالَ الْفَضْـلا

أي: في السنة التاسعة نَعى النبي ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وقال: «**مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ**»[١] وأثنى عليه النبي عليه السلام وذَكَره بخير، وصلى عليه صلاة الغائب في المدينة.

وهنا إشكال في أن النبي ﷺ بعث كتابًا إلى النجاشي ملك الحبشة يدعوه إلى الإسلام.

والنجاشي الذي استقبل الصحابة –رضي الله عنهم وأرضاهم– أسلم على يد

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٥/ ٥١) رقم (٣٨٧٧)، صحيح مسلم (٢/ ٦٥٧) رقم (٩٥٢).

جعفر بن أبي طالب، ونزل في شأنه آيات كريمة في الثناء عليه، وأنه لَمّا تُلِي عليه القرآن بكى وآمن، فكيف التوفيق بين هذا وهذا؟

جَمَع كثير من الأئمة بينهما فقالوا: إن النجاشي الذي بَعث النبي ﷺ إليه كتابًا يدعوه إلى الإسلام، ليس هو النجاشي الذي استقبل الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- وأحسَن إليهم؛ لأن هذا كان مسلمًا.

والذي توفي في العام التاسع وصلى عليه النبي ﷺ هو النجاشي الذي أسلم على يد جعفر رضي الله عنه.

والنجاشي الذي بعث إليه النبي ﷺ كتابًا يدعوه إلى الإسلام، كان ملكًا على جهةٍ أخرى من الحبشة، فكل من كان ملكا على أي جهة من الحبشة يسمّى نجاشيًا، والله أعلم.

«نَالَ الْفَضْلاَ»: أي: حاز الفضل والشرف الكبير بصلاة النبي ﷺ عليه.

ثم قال:

٩٢- وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الْأَخِيرْ وَالْبَجَلِي أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرْ

أي: من أحداث العام العاشر من الهجرة: أنه مات فيه إبراهيم ابن النبي ﷺ، وكان عُمره وقت وفاته نحو سنتين، أو دون السنتين بقليل.

«وَالْبَجَلِي أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرْ» وهو جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه وأرضاه- صحابي كريم، وَفَدَ على النبي ﷺ في شهر رمضان من السنة العاشرة، وأسلم، وبَعثه النبي ﷺ على سرية لهَدْم ذي الخَلَصة؛ وهو صنم كانوا يعبدونه في الجاهلية.

الفائدة في معرفة تأخُّر إسلام جرير -رضي الله عنه وأرضاه- تمييز المتقدم عن المتأخر من المرويات عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فمن ذلك مثلًا: لَمّا روى جرير مَسْح الخفين عن النبي عليه الصلاة والسلام، فقالوا له: أَقَبل المائدة أو بعد المائدة؟ لأن سورة المائدة فيها غَسْل الرِّجلين، فقال: ما أسلمتُ إلا بعد المائدة. فكان يُعجبهم حديث جرير[١]؛ لأنه ما أسلم إلا بعد المائدة؛ فدلّ على أن آية الوضوء لم تنسخ حُكم المسح على الخفين.

ثم قال:

٩٣- وَحَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ قَارِنَا ... وَوَقَفَ الْجُمْعَةَ فِيهَا آمِنَا

٩٤- وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَكُمُ ... اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ

«الْجُمْعَةَ» بإسكان الميم من أجل الوزن.

يقول: حَجّ النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة؛ لأنه وَدّع أصحابه فيها، وقال: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»[٢].

وحَجّ النبي صلى الله عليه وسلم قارنًا، على الراجح من أقوال أهل العلم؛ لأنه كان قد ساق معه الهَدْي، وأَمَر مَنْ ساق مع الهَدْي أن يحج قارنًا، وقال: «**لولا أني سُقت الهَدي لجعلتها عُمرة**»[٣] أي: لتحلّل ولجعلها عُمرة.

وصفة حجّ القران: أنه عند الإحرام من الميقات يُحرِم بحجة وعُمرة معًا،

[١] سنن الترمذي (١/ ١٥٥) رقم (٩٣).

[٢] صحيح مسلم (٢/ ٩٤٣) رقم (١٢٩٧).

[٣] متفق عليه: صحيح البخاري (٢/ ١٤٣) رقم (١٥٦٨)، صحيح مسلم (٢/ ٨٨٤) رقم (١٢١٦).

يقول: (لبيك اللهم حجة وعُمرة)، ثم لا يتحلل إلا بعد أن يرمي ويحلق في اليوم العاشر، أي: يتحلل مرة واحدة.

بخلاف المتمتع يُحرِم بعمرة أولًا من الميقات، ويؤدي مناسك العمرة؛ يطوف ويسعى، ثم يحلق ويتحلل، ويبقى حلالًا، ثم يُحرِم بالحج من مكة.

قال: «وَوَقَفَ الْجُمْعَةَ فِيهَا آمِنَا» أي: ووقف وقفة عرفة وكان يوافق يوم الجمعة، فوقف فيها آمنًا بعد أن فتَح الله –تعالى– عليه مكة.

٩٤- وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَكُمُ ... اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ

«وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ»: أي: أُنزلت في يوم عرفة الذي كان يوافق يوم الجمعة «بُشْرَى لَكُمُ» أي: آية فيها بشارة للمسلمين.

وهذه البشرى هي: «اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ»؛ هذا يسمى في البلاغة: الاقتباس، حيث أخذ الآية وجعلها جزءًا من البيت.

«اَلْيَوْمَ أَكْـ» مُسْتَفْعِلن، «مَلْتُ لَكُمْ» مُسْتَعِلُن، «دِينَكُمُ» مسْتَعِل.

هل هذا يتعارض مع كون القرآن ليس شعرًا؟

لا؛ لأن الموافقة بين جزء من آية، وبين بحرٍ من بحور الشعر، لا يسمّى شِعْرًا؛ لأنّ الشعر لا بد أن يكون له نظامه وقواعده، ويكون كله موزونًا مُقفّى.

أي: في يوم الجمعة في يوم عرفة في حجة الوداع أُنزلت هذه الآية الكريمة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

قال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب ﵁: آيةٌ تقرءونها في كتابكم لو أُنزلت علينا معشر يهود لاتخذنا يوم نزولها عيدًا. فسأله عمر ﵁: أيّة آية؟

قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

فقال عمر ﵁: إني والله لأعلم، أين نزلت، ومتى نزلت؛ نزلت على رسول الله ﷺ وهو قائمٌ بعرفة يوم جمعة[١].

قال عمر: وهما بحمد الله يوما عيدٍ للمسلمين.

ثم قال:

٩٥- وَمَوْتُ رَيْحَانَةَ بَعْدَ عَوْدِهْ وَالتِّسْعُ عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهْ

ريحانة بنت شمعون بن زيد -رضي الله عنها وأرضاها- مَرّ بنا أن الناظم ﵀ يسير على قول مَنْ قال من الأئمة: (إنها من أمهات المؤمنين)، فيقول: إنها توفيت بعد عودة النبي ﷺ من حجة الوداع في السنة العاشرة، وصلى عليها النبي ﵊ ودَفنها في البقيع -رضي الله عنها وأرضاها-.

الرأي الآخر يقول: إن ريحانة ﵂ كانت أَمَةً للنبي ﵊، ولم تكن زوجة.

«وَالتِّسْعُ» أي: بقية أزواجه ﷺ التسع الأخريات.

«عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهْ» أي عشن بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ثم قال:

[١] صحيح مسلم (٤/ ٢٣١٣) رقم (٣٠١٧).

٩٦- وَيَـومَ الِاثْنَـيْنِ قَـضَى يَقِينَا إِذْ أَكْمَـلَ الثَّـلَاثَ وَالسِّـتِّينَا

يقول: يوم الاثنين توفي رسول الله ﷺ.

«يَقِينَا»: أي: هذا شيء مجزومٌ به، ومُجمَع عليه، أن النبي عليه السلام توفي يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول في العام الحادي عشر من الهجرة، بعد أن أتم عليه السلام ثلاثًا وستين سنة.

ثمّ قال:

٩٧- وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي مَوْضِعِ الْوَفَـاةِ عَـنْ تَحْقِيـقِ

٩٨- وَمُدَّةُ التَّمْرِيضِ خُمْسَـا شَهْرِ وَقِيـلَ بَـلْ ثُلْـثٌ وَخُمْـسٌ فَـادْرِ

«وَمُدَّةُ التَّمْرِيضِ» أي: مُدّة مرض النبي ﷺ قبل وفاته.

«خُمْسَا شَهْرِ»: خُمس الشهر: هو ستة أيام فيكون: «خُمْسَا شَهْرِ»: أي: اثنى عشر يومًا.

«وَقِيلَ بَلْ ثُلْثٌ وَخُمْسٌ فَادْرِ» وقيل: ثُلث شهر، وخُمس شهر؛ ثلث الشهر: عشرة، وخُمس الشهر: ستة؛ أي: ستة عشر يومًا.

وفي بعض الروايات: أن مُدّة مرض النبي ﷺ كانت أربعة عشر يومًا.

ملخص قصة وفاة رسول الله ﷺ:

قُبيل الوفاة النبي عليه السلام كان يتوقّع موته، وكان هناك علامات تدل على قُرْب وفاته عليه السلام؛ منها: ما كان في حَجّة الوداع، وقوله: «**لعلي لا ألقاكم بعد عامي**

هذا»[١]، ونزل عليه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[المائدة:٣].

ثم بعد ذلك: أُنزل عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:١-٣] وهي آخر سورة كاملة نزلت على النبي ﷺ، وكانت نَعْي رسول الله ﷺ.

وهكذا فَهِمها الصحابة -رضي الله عنهم- فلَمّا نزلت بكى أبو بكر رضي الله عنه، فقالوا: ما يُبكيك؟ قال: هذا نَعْي رسول الله ﷺ.

لأن الأمر بالتسبيح والاستغفار يكون في ختام الأعمال؛ فكان هذا إشارة إلى أنه قد أدى الرسالة عليه الصلاة والسلام.

وهذه السورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ نزلت على النبي ﷺ في وسط أيام التشريق في العام العاشر.

وكذلك النبي ﷺ قبيل وفاته خرج فَزَارَ البقيع وصلى على أهل البقيع، ثم ذهب إلى قبور شهداء أُحد، وصلى عليهم كالمودّع للأحياء والأموات.

فعن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ- قال: (بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال: يا أبا مويهبة! إني قد أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي)، فانطلق معه، وزار أهل البقيع، ثم قال ﷺ: «**يا أبا مُوَيهبة! إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخُلْد فيها، ثم الجنة، وخُيّرت بين ذلك وبين لقاء ربي** عز وجل» قال: قلت: (بأبي وأمي فخُذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة)، قال: «**لا والله يا أبا**

---

[١] السنن الكبرى للنسائي (٤/ ١٦١).

مويهبة لقد اخترتُ لقاء ربي ﷻ والجنة»[١].

وما من نبي من الأنبياء قُبِض حتى يُخَيّر بين البقاء في الدنيا وبين أن يُقبَض، فخُير النبي ﷺ، واختار لقاء ربه ﷻ، واستغفر لأهل البقيع ثم انصرف.

وكذلك في الصحيحين[٢] خطَب رسول الله ﷺ فقَالَ: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذلك العبد مَا عِنْدَ اللهِ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فعجبنا لبكائه.، قال أبو سعيد الخدري: فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو الْمُخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا.

ثم إن النبي ﷺ مَرِض، فلمّا اشتدّ به وجعه استأذن أزواجه أن يُمَرّض في بيت عائشة رضي الله عنها فأَذِنّ له.

فَخَرج النبي ﷺ تخط رِجلاه في الأرض بين عمّه العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-.

وحَدّثت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال بعدما دخل بيته واشتد وجعه: «**هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ**»[٣] طلب سبع قِرب من سبعة آبار، وأن يُصَب عليه، فأُجْلِسَ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ، وصبوا عليه من تلك القِرَب.

وخرج ﷺ في مرضه الذي مات فيه وهو عاصب رأسه بخرقة، فقعد على المنبر

---

[١] مسند أحمد (٢٥/ ٣٧٦) رقم (١٥٩٩٧).

[٢] صحيح البخاري (١/ ١٠٠) رقم (٤٦٦)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٥٤) رقم (٢٣٨٢).

[٣] صحيح البخاري (١/ ٥٠) رقم (١٩٨).

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ**»[١].

كان هناك بيوت حول المسجد، أبوابها تفتح على المسجد، فأَمَر النبي ﷺ سَد كل الأبواب التي تفتح على المسجد إلا باب أبي بكر.

ثم أوصى النبي ﷺ أن يصلي أبو بكر بالناس في أيام مرضه، فقال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». فقيل له ﷺ: (إن أبا بكر رجل أسيف) أي: كثير البكاء، (إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس). وأعاد، فأعادوا له ﷺ، ثم قال في الثالثة: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»[٢].

والسبب أن صواحب يوسف، أي: النساء عمومًا، قد تتكلم بكلام ظاهره شيء، وهي تُضمر معنى آخر، ففهم النبي عليه الصلاة والسلام أن عائشة -رضي الله عنها- لا تريد أن يصلي أبوها بالناس؛ لأن الناس سيقارنون بينه وبين النبي عليه الصلاة والسلام، ويربطون بين صلاته بهم ووفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فكأنها كَرِهت ذلك لأبيها.

ثم قُبيل وفاته عليه الصلاة والسلام خرج في أثناء مرضه، فصلى جالسًا حيث عجز عن القيام، وأبو بكر إلى جنبه قائمًا يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر.

ثم بعد ذلك كان يصلي في بيته عليه الصلاة والسلام لا يستطيع الخروج للمسجد، ثم في يومٍ -

---

[١] صحيح البخاري (١/ ١٠٠) رقم (٤٦٧).

[٢] متفق عليه: صحيح البخاري (٩/ ٩٨) رقم (٧٣٠٣)، صحيح مسلم (١/ ٣١٣) رقم (٤١٨).

كما جاء عن أنس بن مالك ﵁- قال: (لم يخرج النبي ﷺ ثلاثًا) أي: ظل ثلاثة أيام يصلي في بيته بسبب المرض، (فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب، فرفعه) أي: كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهُم في صفوف الصلاة، كأن وجهه ورقة مصحف، قال أنس: (فلمّا وضح وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظرًا كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وَضح لنا)[١].

وفي رواية أن ذلك كان في صلاة الفجر يوم الاثنين، الذي توفي فيه النبي ﵇، وأبو بكر يصلي بهم، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ[٢].

شُرّاح الحديث قالوا: التشبيه هنا في الجَمَال والوضاءة وصفاء البشرة والنور والإضاءة، فكأنه أجمل شيء ينظر إليه الإنسان هو ورقة المصحف، فالصحابة كانوا دائمًا يُشبهون النبي ﷺ بالقمر والبدر، لكن في هذه المرّة شَبهوه بما هو أجمل شيء، وهو ورقة مصحف، أي في الحُسْن والجَمال والإضاءة.

(فهممنا أن نفتتن من الفرح) أي: فرحًا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده أن أَتِموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ﷺ.

بعد ذلك تقول عائشة -رضي الله عنها- أنها أسندت رسول الله ﷺ إليها، تقول: تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَإِنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ﵇[٣].

---

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (١/ ١٣٧) رقم (٦٨١)، صحيح مسلم (١/ ٣١٥) رقم (٤١٩).

[٢] متفق عليه: صحيح البخاري (١/ ١٣٧) رقم (٦٨٠)، صحيح مسلم (١/ ٣١٥) رقم (٤١٩).

[٣] متفق عليه: صحيح البخاري (٢/ ١٠٢) رقم (١٣٨٩)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٩٣) رقم (٢٤٤٣).

وحكت القصة أن عبد الرحمن بن أبي بكر دخل ومعه سواك رطب، فنظر إليه النبي ﷺ فعلمت أنه يحبه، فأخذت السواك من أخيها وطَيّبته ودفعته للنبي ﷺ فاستاك به، ثم دفعه إليها فاستاكت به.

فلمّا فَرَغ النبي عليه السلام- من السواك رفع يده أو أصبعه، وشخص ببصره نحو السقف وقال: «**اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى**»[١] أي: قالها ثلاث مرات عليه السلام.

والرفيق الأعلى: قيل في تفسيرها: هو الله جل وعلا لحديث: «**إن الله رفيقٌ يحب الرفق**»[٢].

وقيل: الرفيق الأعلى: الملائكة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل**»[٣].

وقيل: الرفيق الأعلى: الأنبياء والصديقون، والشهداء والصالحون، لقوله -تعالى- في سورة النساء: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩].

وقيل: الرفيق الأعلى: الجنة.

وسُمي الأنبياء والصالحون والملائكة رفيقًا؛ لارتفاق بعضهم ببعض؛ أي لتعاونهم على الخير.

ويُحتمَل أنه يشمل ذلك كله، فالرفيق الأعلى: كلمة تشمل ذلك كله؛ أي عند

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٦/ ١٠) رقم (٤٤٣٨)، صحيح مسلم (٤/ ١٨٩٤) رقم (٢٤٤٤).
[٢] متفق عليه: صحيح البخاري (٩/ ١٦) رقم (٦٩٢٧)، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٠٣) رقم (٢٥٩٣).
[٣] السنن الكبرى للنسائي (٦/ ٣٩١).

الله تعالى في الجنة مع الملائكة والأنبياء والصالحين.

ثم قُبِض رسول الله ﷺ.

تقول عائشة رضي الله عنها لَمّا أرادوا غُسل النبي ﷺ، قالوا: والله ما ندري أنُجَرّد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نُجَرّد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟

فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مُكَلِّم من ناحية البيت، لا يدرون مَنْ هو: أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه.

فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسّلوه وعليه قميصه، يصبّون الماء فوق القميص، ويدلكونه من فوق القميص.

وكُفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيضٍ سَحُولية، ليس فيها قميص ولا عمامة[١].

سَحُولية: نسبة إلى سَحُول، بلدة في اليمن، تُصنع فيها أقمشة بيضاء جيدة.

ثمّ صلّوا على النبي ﷺ فُرادى، لا يؤمهم أحد، كانوا يدخلون من هذا الباب فيُصَلّون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر.

وكان النبي ﷺ أخبر أن الأنبياء يُدفنون حيث يموتون؛ فلذلك نفس السرير الذي كان عليه النبي ﷺ حفروا تحته قبره، في بيت عائشة -رضي الله عنها وأرضاها-.

وكان دَفْن النبي ﷺ ليلة الأربعاء، وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ علي بن

[١] متفق عليه: صحيح البخاري (٢/ ٧٥) رقم (١٢٦٤)، صحيح مسلم (٢/ ٦٥٠) رقم (٩٤١).

أبي طالب، والفضل بن عباس، وقُثم بن عباس، وشُقران مولى رسول الله ﷺ؛ هؤلاء الأربعة هم الذين نزلوا قبر النبي ﷺ لدفنه[١].

ثم قال:

٩٩- وَتَمَّـتِ الْأُرْجُـوزَةُ الْمِيئِيَّـةْ فِي ذِكْـرِ حَـالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّـةْ

«الْأُرْجُوزَةُ»: أي المنظومة على وزن بحر الرَّجَز.

«الْمِيئِيَّةْ» قلنا: أي التي عدد أبياتها مائة، فنَسَب إلى (مائة) على طريقة النسبة إلى (عِدة وصفة) يقال: (عِدِية وصِفِية)، ثم مَطَل الكسرة بالياء في بعض اللغات.

فقال:

٩٩- وَتَمَّـتِ الْأُرْجُـوزَةُ الْمِيئِيَّـةْ فِي ذِكْـرِ حَـالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّـةْ

«الْبَرِيَّةْ»: أي: الخَلْق، فهو ﷺ أشرف الخَلْق.

وهنا إشكال أنه وَرَد في حديثٍ في الصحيح[٢] عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال: «**ذاك إبراهيم**».

فقيل: إن النبي ﷺ إما قاله تواضعًا، أو قبل أن يُعلمه الله سبحانه وتعالى أنه سيد ولد آدم وخير الخَلْق على الإطلاق، وخيرٌ من جبريل وميكائيل -عليهم جميعًا السلام-.

ثم قال:

---

[١] سنن ابن ماجه (١/ ٥٢٠) رقم (١٦٢٨).

[٢] صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٩) رقم (٢٣٦٩).

١٠٠- صَـلَّى عَلَيْـهِ اللهُ رَبِّي وَعلى صِحَابِـهِ وآلِهِ وَمَـنْ تَـلاَ

النسخة عندنا: «صِحَابِهِ»، في بعض النُّسخ: «أَصْحَابِهِ».

والصّحاب والأصحاب نفس المعنى.

«وَمَنْ تَلا» أي: ومَنْ تَبِعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبهذا ينتهي شَرْح هذه الأرجوزة العظيمة في سيرة رسول الله ﷺ.

هذا؛ وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

إسنادي إلى المنظومة الميئية ٥
المقدمة ٦
متن الأرجوزة الميئية ٧
ترجمة الناظم ١٣
مبادي علم السيرة ١٧
معنى الحمد ٢٢
معنى الصلاة على الرسول ﷺ ٢٤
مولد النبي ﷺ ٢٧
إرضاع النبي ﷺ ٣٠
شق الصدر ٣١
وفاة أمه ﷺ ٣٤
وفاة جده، وكفالة عمه له ﷺ ٣٦
خبر بحيرا الراهب ٣٧
رحلته ﷺ للشام ٤٠
زواجه ﷺ من خديجة ٤٢
أبناوه ﷺ ٤٤
إعادة بناء الكعبة ٤٧
مبعثه ﷺ على رأس الأربعين ٥٠
نزول القران عليه ﷺ ٥١
تعليم جبريل الصلاة له ﷺ ٥٢
رمي النجوم للجن ٥٣

الجهر بالدعوة ٥٤
الهجرة للحبشة ٥٥
وفاة أبي طالب وخديجة ٥٩
إسلام جن نصيبين ٦٢
زواجه ﷺ من سودة وعائشة ٦٤
الإسراء وفرض الصلوات الخمس ٦٧
بيعة العقبة الأولى ٦٩
بيعة العقبة الثانية ٧٠
هجرته ﷺ للمدينة ٧١
إكمال صلاة الحضر ٧٣
بناء المسجد ٧٤
حجرات النبي ﷺ ٧٦
عودة نصف مهاجري الحبشة ٧٧
الإخاء بين المهاجرين والأنصار ٧٨
البناء بعائشة ٨٠
وتشريع الآذان ٨٠
غزوة الأبواء ٨٢
غزوة بواط ٨٤
غزوة بدر الصغرى ٨٥
تحول القبلة ٨٦
غزوة بدر الكبرى ٨٨
وجوب زكاة الفطر ٨٩
وقت فرض زكاة المال ٩٠

وفاة رقية بنت النبي ﷺ ٩٠
زواج فاطمة ٩٠
إسلام عمه العباس.. ٩١
غزوة بني قينقاع.. ٩٢
غزوة السويق ٩٣
غزوة بني سُليم، وغزوة غطفان.. ٩٥
زواج أم كلثوم ٩٦
زواج النبي ﷺ من حفصة ٩٦
زواج النبي ﷺ من زينب ٩٧
غزوة أحد.. ٩٨
غزوة حمراء الاسد ١٠٠
تحريم الخمر ١٠١
غزوة بني النضير. ١٠١
زواجه ﷺ من أم سلمة ١٠٣
زواجه ﷺ من زينب بنت جحش ١٠٤
غزوة بدر الموعد ١٠٦
غزوة الأحزاب ١٠٧
غزوة بني قريظة.. ١٠٩
غزوة ذات الرقاع ١١٢
تشريع صلاة الخوف.. ١١٣
نزول آية الحجاب والتيمم ١١٣
رَجْم اليهوديين ١١٤
مولد الحسين ١١٥

غزوة بني المصطلق ١١٥
حادثة الإفك ١١٧
غزوة دومة الجندل ١٢١
زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث ١٢٢
زواجه ﷺ من ريحانة ١٢٢
غزوة بني لِحيان ١٢٣
استسقاء النبي ﷺ ١٢٤
غزوة ذي قَرَد ١٢٥
غزوة الحُديبية ١٢٦
بيعة الرضوان ١٢٨
غزوة خيبر ١٢٩
وقت فرضية الحج ١٢٩
تحريم لحوم الحمر الأهالية ١٣٠
تحريم زواج المتعة ١٣١
زواج النبي ﷺ بأمّ حبيبةَ ١٣١
دس السم له ﷺ ١٣٢
زواجه من صفية ١٣٣
رجوع باقي مهاجري الحبشة ١٣٤
زواجه من ميكونة ١٣٤
إسلام أبي هريرة ١٣٥
إرساله ﷺ بالرسل للملوك ١٣٦
خبر مارية القبطية ١٤٠
سرية مؤتة ١٤٠

فتح مكة ١٤٢
غزوة حنين ١٤٣
اعتمار النبي ١٤٦
مولد ولده إبراهيم ١٤٨
موت ابنته زينب ١٤٨
بناء المنبر ١٤٩
غزوة تبوك ١٤٩
هدم مسجد المنافقين ١٥٢
حج أبي بكر بالناس ١٥٣
عام الوفود ١٥٤
إيلاء النبي ﷺ من نسائه ١٥٥
موت النجاشي ١٥٦
موت ولده إبراهيم ١٥٧
إسلام جرير البجلي ١٥٧
حجة الوداع ١٥٨
موت ريحانة ١٦٠
موت النبي ودفنه ﷺ ١٦١
الخاتمة ١٦٨